
روايات مصرية للجيب
35
فانتازيا
ما أمام الطبيعة
Looloo
www.dvd4arab.com
د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن) ..

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة أو ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثير جدًا .. ولأن عقلها مزدحم بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًّا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلتها الشائقة إلى (فانتازيا) ..

ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجـوه التى لا تتغيّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صـاغته عبقـرية الأدباء علـى مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

ولسوف نرحل جميعًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضـع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

ملحوظة مهمة : أكثر المصطلحات والأسماء الغربيـة الواردة هنا قمت بكتابتها بالإنجليزية ، والسبب ليس التحذلق ولكن لأن بعض الأصدقاء طـالبونى بهذا مرارًا ؛ ليسـهل عليهم معرفة الهجاء الصحيح ، فالبحث عن المزيد من التفـاصيل فى الإنترنت إذا أرادوا .. هذا مطلب عـادل مهم .. ولسوف أحاول الالتزام به فى كل ما أكتبه فيما بعد إن شاء الله ..

1 ـ مغامرة أخرى ..

كما عرفنا فرت (عبير) من عالم عصابات المافيا ، وهى توشك على الموت بعد الرصاصة التى اخترقت صدرها ، لكن فى (فانتازيا) قد يكون بوسعك أن تنجو لو أنك غادرت هذا العالم بسرعة البرق ..

وكان هذا ما فعله (المرشد) حين حملها حملاً إلى القطار الذى راح يتحرك بطريقته المضحكة .. هذا قطار من قطارات القصص يوشك أن تكون له ـ على طريقة (ديزنى) ـ عينان جاحظتان وشارب فى المقدمة .. لولا أن هذا يجعله أكثر طفولية مما نريد له ..

الآن يمشى القطار فى معالم (فانتازيا) وهو يطلق الدخان ، ويطلق صفارته كأنما يمكن أن يدهم شخصًا ما بسرعته هذه ..

كانت (عبير) مرهقة لكنها تتحسن ، وأدركت أنها عادت بثيابها القديمة المعتادة .. لم تعد مغنية المافيا الحسناء ، لكنها الآن (عبير عبد الرحمن) التعسة الخائفة إلى الأبد .

قال لها (المرشد) حيث جلس أمامها مرجعًا ظهره إلى الوراء ، عاقدًا يديه على صدره ، وواضعًا ساقًا على ساق :

ـ « استيقظى وأشرقى ! »

تخللت بيدها خصلات شعرها ، وقالت :

ـ « أنا تحت أمرك .. لقد عدت إلى العالم من جديد .. »

ـ « خبرة مثيرة هى أن تتلقى طلقات فى صدرك .. إن (فانتازيا) تعج بالخبرات حقًا ، والمهم أن تفيدى من كل لحظة .. »

ـ « لا أحب الخبرات الأخيرة فى أى شىء .. أنت تتخيل أننى لحظة الموت سأهتف فى مرح : آه !! إذن هذا هو الموت الذى كتب عنه الأدباء ، وتخيله الشعراء ، وخافه الناس منذ القدم ! رباه ! يجب أن أستمتع بالتجربة إلى أقصى حد ، ولا يفوتنى شىء ! »

ـ « هكذا يجب أن يكون .. »

ـ « فاتك أننا لا نلاحظ بعناية إلا لأننا نعرف أننا سنجلس وندون هذه الخبرات .. نرى الهول فنقول : سنكتب أشياء جميلة جدًا فيما بعد ، لكن أحدًا ـ حتى (شكسبير) نفسه ـ

لم يملك روح المبادأة إلى حد أن يطلب ورقة وقلمًا وهو على فراش الموت ليدوّن ما يراه .. »

ثم صمتت وهى ترمق معالم (فانتازيا) من النافذة ..

الآن ترى بساطًا سحريًا تركبه أميرة شرقية حسناء ، وترى جنيًا يهبط على الأرض بمدينة من الذهب .. لا أعرف هذه القصة للأسف لكنها موجودة .. ما دامت فى (فانتازيا) فهى موجودة .. صف من رعاة البقر يتقدمون فى الأفق والغبار يجعلهم أسطوريين .. بينما تدوى من مكان ما موسيقا (من أجل مزيد من الدولارات) ..

قالت له فى استمتاع :

ـ « لا أعرف ما جاذبية هذا المشهد .. لكنه يحرك شيئًا فى أعماقى .. »

قال لها بلا مبالاة كعادته :

ـ « هذا سحر السينما .. إنها تجعل الحياة أكبر من الحياة ذاتها .. ثم إن تأثير الحركة البطيئة والموسيقا تجعلك تعتقدين أن الفيلم أعمق مما هو فى الحقيقة .. »

من بعيد تحلق طائرات (زيرو) اليابانية الشبيهة بلعب

الأطفال الزنبركية ، لتقصف الأسطول الأمريكى الناعس فى (بيرل هاربر Pearl Harbor) .. ويثب (الياتى) فوق مجموعة من رهبان التبت الذين توغلوا فى الجبال أكثر من اللازم .. (عاصو) الشرير يقاتل (أبو زيد الهلالى) ، ومن مكان ما فى (لوخ نس Loch Ness) يرفع الوحش الأسطورى النائم رأسه ، على حين يعوى (القدم الكبيرة) جوار معسكر هندى فى الشمال ..

ماذا تختار ؟ ماذا تختار ؟

إنها ترى شوارع القاهرة ، وترى سيارة عتيقة بحالة سيئة فعلاً تصطدم بسيارة توقفت أمامها فجأة .. ومن السيارة العتيقة ترجل رجل نحيل أصلع يلبس بذلة كحلية اللون متسعة نوعًا بالنسبة له .. واتجه إلى سائق السيارة الأولى ليوبخه :

ـ « لو كنت تعتقد أن دور السيارات هو أن تقف فجأة لا أن تمشى ، فأنت فى مشكلة ! »

هل هذه مغامرة ؟ من هؤلاء إذن ؟ إن الأمر أقرب ما يكون إلى حياتها هى ..

قال لها (المرشد) باسمًا :

ـ « طبعًا العجوز (رفعت إسماعيل) هو المخطئ .. إنه

أسوأ سائق سيارة على وجه الأرض ، لكن اللوم سينهال على صاحب السيارة فى المقدمة ؛ لأن العجوز يستعمل لسانه ببراعة .. »

هتفت فى دهشة :

ـ « (رفعت إسماعيل) العجوز ؟ هو ذا ؟ إذن نحن فى عالم .. »

ـ « ما وراء الطبيعة .. ظننت هذا واضحًا .. »

قالت وهى تنظر حولها :

ـ « لكن لا أثر لشىء من عالم ما وراء الطبيعة هنا .. لا أشباح ولا مصاص دماء واحد .. »

ـ هذا هو الطابع المميز لما وراء الطبيعة .. إنها تريك غير العادى فى عالم عادى تمامًا .. يطلقون على هذا النمط من القصص مصطلح (وحيد القرن فى الحديقة Unicorn In The Garden) .. هناك العادى فى عالم غير عادى (مثل أليس) .. وهناك غير العادى فى عالم غير عادى (مثل سيد الخواتم وكل عوالم تولكين Tolkien) .. »

ـ « وماذا عن العادى فى عالم عادى ؟ »

ـ « عندها لن يحدث شىء خارق ! هذا نحن ببساطة ! »

كان (رفعت إسماعيل) قد انطلق بالسيارة فى أثناء هذا النقاش .. فهتفت (عبير) فى غيظ :

ـ « لقد رحل .. حسن . أريد تجربة هذه القصص معه .. »

ـ « أحلامك أوامر .. لكن هناك عدة مشاكل يجب أن تلاحظيها .. هذا الرجل ملول جدًا وربما لن يروق لك .. نحن نمل من يملنا .. ولا نطيق من لا يطيقنا .. »

ـ « سأتحمل هذا .. أنت طبعًا ستجعلنى (ماجى) حبيبته .. لقد اعتدت أن أبحث عن الشقراء الفاتنة فى أية قصة وأتحول إليها .. »

فكر قليلاً .. راح يتأملها فى اهتمام كأنه خياط نساء يفكر فى حل يصلح به ثوبًا قبيحًا .. ثم قال :

ـ « لا .. ليس (ماجى) .. إنه يغدو مع (ماجى) رقيقًا مرهفًا مهذبًا ، وهذا سيسلب شخصيته أهم ما فيها .. لا .. ليس (ماجى) .. »

ـ « إذن ؟ »

فكر قليلاً ثم قال :

ـ « أنت مراسلة تلفزيون شابة .. متوسطة الجمال ذكية كالثعالب .. ستكون هذه هى البداية .. »

وتوقف القطار .. هنا أدركت أنها تلبس ثيابًا تناسب مراسلة تلفزيون شابة متوسطة الجمال ذكية كالثعالب .. وكانت تعرف أن القصة ستبدأ بمجرد أن تهبط من القطار ..

قال لها :

- « أنت من الطراز الذى يجيد حسم أمره أو كما يقول الإنجليز Self Managed .. وهو - هذا الطراز - لايناسب (رفعت) كثيرًا .. لأنه - (رفعت) طبعًا - يجيد (البروكرستيزية) .. »

سألته فى حيرة :

- « أولاً لماذا صرت تقحم تعبيرات إنجليزية ؟ ولماذا تستعمل مصطلحات لا أفهمها مثل (بروكستـ ....) هذا ؟ »

- « أنت الآن فى عالم المؤلف .. إنه مولع باستعمال المصطلحات لأنها - على ما أظن - تجعل الأمر يبدو أعمق مما هو عليه ! إما أنه متحذلق ، وإما هو يحاول القيام بدور تثقيفى ما .. المهم أن تتعودى هذا .. هذا يشبه الموسيقا التصويرية فى السينما .. ثم إنه يمقت كتابة تعليقات تفسيرية فى الهامش إلا للضرورة القصوى .. »

- « والجمل الاعتراضية الكثيرة ؟ »

- « هذه طبيعة مرضية أخرى لديه .. سوف - لو لاحظت هذا - تجدين نفسك تتكلمين - لو أنك بقيت فترة كافية - بالطريقة ذاتها .. إن - لو فرضنا أن هذا صحيح - الجمل الاعتراضية - مع بعض التحفظ - تعطى حيوية أكثر للحوار .. »

قالت مفكرة :

- « إننى - مع بعض التحفظ - سأقبل هذا بالتأكيد .. »

ابتسم كمن يقول لها (سوف ننجح) وأضاف :

- « يجب كذلك أن يكون هناك اسم للمغامرة القادمة وإلا لن تحدث أبدًا ! »

هتفت مغتاظة :

- « يا سلام !! أنا لا أعرف ما سيحدث على الإطلاق ! كيف أختار اسمًا ؟ »

- « هو يؤمن أن الأحداث تولد من العنوان .. كأن عنوان القصة شهادة ميلاد يجعل لها وجودًا رسميًا لايمكن إزالته .. ومن وجهة نظره إن قليلين جدًا من الرسامين يبدءون رسم الشخصية من القدمين .. هو - كذلك - يعتبر أن عنوان القصة مثل رأسها .. هو نقطة البدء .. »

فكرت قليلاً ثم قالت :

ـ « ليكن .. مثلاً .. (البيت المسكون) »

ـ « تقليدى جدًا .. أسوأ أنواع العناوين هى التى تتكون من صفة وموصوف ، أو مبتدأ وخبر ، أو مضاف ومضاف إليه فقط .. ثم إنها تشير إلى شىء نعرفه جميعًا .. فلنختر شيئًا آخر .. »

ـ « مثلاً .. (الرعب فى الليل) .. »

هز رأسه راضيًا بعض الشىء وقال :

ـ « لا بأس .. لكن لا بد من كلمة (أسطورة) أولاً .. أضيفى لهذا أن العناوين التى تأخذ نفسها مأخذ الجد لا تروق له .. (أسطورة الرعب فى الليل) يعد القارئ بشىء لن يجده غالبًا .. وحتى لو وجد فإن تحفز القارئ للتحدى سيجعله يرى القصة لعب أطفال .. »

صاحت فى غيظ وقد سئمت كل هذا :

ـ « كفى ! لن أقضى بقية حياتى فى اختيار عنوان يناسب هذا الـ .... »

صفق بيديه فى مرح وبدا عليه الرضا :

ـ « أنت عبقرية يا عزيزتى .. (أسطورة الـ ....) .. لم يستعمل المؤلف هذا العنوان قط ، لكنى أراهن على أنه سيستعمله لو تركناه وشأنه .. الآن يجب إضافة علامة تعجب بعد العنوان .. »

ـ « ولماذا ؟ »

ـ « لا تسألى كثيرًا .. إن استهلاك هذا المؤلف لعلامات التعجب يكفى عدة أجيال .. ستجدين علامة التعجب تالفة فى لوحات مفاتيح أية جهة نشر يتعامل معها .. هكذا صار لدينا العنوان ، ولسوف تنبع منه القصة ! »

ـ « أية قصة ؟ »

ـ « قصة الـ ... طبعًا ! »

★ ★ ★

2- أسطورة الـ .....!

إنه ...... يعرف هذا !

* * *

من هو ؟ ما الذى يعرفه ؟ ما علاقة هذا بالموضوع ؟ لا يهم .. لكنها كانت تعرف أن هذه لعبة أسلوبية ما يمارسها المؤلف .. ربما تستطيل العبارة فى أول كل فصل إلى أن تصير كالقطار .. ربما هى جزء من أغنية .. ربما هى عبارة كتبها ابن المؤلف على لوحة المفاتيح ، بينما الأخير فى المطبخ يشرب كوبًا من الماء . لا يهم .. إنها لا تبالى كثيرًا بهذا الهراء ..

هنا فطنت إلى شىء آخر : هذا عالم يعج بالـ (هراء) حيث تستعمل فيه هذه اللفظة عشر مرات فى الصفحة الواحدة .. هل هناك شىء آخر ؟ لو كان هناك شىء آخر فلسوف تعرفه حالاً ..

الآن هى تقف عند مدخل البناية .. هناك محفة تنزلق من سيارة الإسعاف يحملها رجلان شديدان غليظان كزبانية جهنم ، وهناك زحام من الفضوليين الذين لا عمل لهم سوى جعل الحياة أكثر عسرًا ..

هنا تدرك الحقيقة .. هذه ليست مصر .. إلا لو تعلم أهل مصر جميعًا الإنجليزية فجأة ، وصار رجال الشرطة يلبسون اللون الأزرق ، وصار لون سيارات الأجرة أصفر يقودها باكستانيون .. هذه أمريكا .. (نيويورك) بالتحديد ..

ماذا أتى بها هنا ؟ وما دور (رفعت) فى القصة ؟

لكنها على الأقل تعرف أنها تتقدم الجمع ، وأنها تحمل مكبر صوت فى يدها ، وأن هناك فتى نحيلاً مجعد الشعر كثيفه .. صار الشعر حول رأسه على شكل كرة ملساء .. يلحق بها وهو يحمل كاميرا ثقيلة على كتفه تحمل شعار FFF News وهو ذات الشعار الموجود على مكبر الصوت الذى تحمله .

هذه هى مهمتها إذن .. أن تغطى الحادث .. أى حادث ؟ هناك محفةٌ وزحام ورجال شرطة فلابد أنها جريمة قتل .. تتقدم إلى المدخل ، ويستوقفها رجل شرطة لكنه يرى الشارة التى تعلقها فيفسح لها .. تعبر شريط مسرح الجريمة الذى يغلقون به المدخل وتهتف :

- « هلم يا (جيرى) .. »

تقولها للفتى الذى من الواضح أن اسمه مناسب جدًا .. وهو من النوع الذى لا تفارق لفافة التبغ فمه كأنها عيب خِلقى ..

وفى الداخل تتوقف أمام المصعد الذى يهبط فى هذه اللحظة بالذات .. يخرج منه عملاق زنجى يرتدى معطفًا خاكيًّا ، فقط لأن رئيس الشرطة يجب أن يكون عملاقًا زنجيًّا يرتدى معطفًا خاكيًّا .. هكذا تعلم من السينما ..

من ورائه تخرج الجثة على محفة ، وقد وضعت فى كيس من المشمع الأسود الكئيب .. ويلتمع الفلاش فى كل صوب .. طبعًا صارت الآن تعرف أن اسمه (رودمان) ..

تدنو من رئيس الشرطة ، وتضع المكبر أمام فمه :

ـ « أيها المفتش (رودمان) .. ما هو سبب الجريمة فى رأيك ؟ »

ـ « لا تعليق .. »

ويدنو صحفى آخر يحمل جهاز كاسيت صغيرًا :

ـ « كيف تمت ؟ »

ـ « لا تعليق .. »

صحفى ثالث :

ـ « من الذى ثنى الجثة ثلاث مرات حول نفسها ؟ »

ـ « لا تعليق .. »

كان المفتش يزداد عرقًا وسوادًا ، وبدا بوضوح أنه يمقت هؤلاء الأشخاص .. دائمًا مفتش الشرطة فى هذه القصص لا يرحب بظهور صورته فى الصحف .. ليست لديهم أية نزعة إعلامية ..

ابتعد الرجل مسرعًا ليستقل سيارته ، وسط مهرجان الأضواء والسرينة العاوية .. فسرعان ما صعد الصحفيون إلى الشقة الواقعة فى الطابق السابع .. وكان بعض رجال الشرطة هناك عاكفين على شىء ما ، بعد ما قاموا بأخذ البصمات والتقاط الصور .. لكنهم سمحوا للصحفيين بالدخول ..

راحت الكاميرا تهدر ، وهى تلتقط صورة الشقة الخالية .. شقة مظلمة كئيبة لكنها لا تحمل أى أثر للعنف .. من الواضح أن الرجل كان يعيش وحده لأنه لا توجد أية لمسة أنثوية هنا .. وكان مهتمًّا بكل ما يهتم به رجل أمريكى فى منتصف العمر : كرة القدم التى يسمونها كذلك برغم أنها عبارة عن وحوش تركض وتتصارع على كرة تمسك باليد .. إن كرة القدم التى نعرفها نحن تدعى عندهم (Soccer) .. صور ممثلات .. كاسكيت لعبة (بيزبول) ومضرب موقع عليه من بطل رياضى ما .. جهاز فيديو

تراصت جواره مجموعة من الشرائط .. هذا الرجل يهوى أفلام العنف كأى رجل فى الواقع .. (شانج .. ماذا ؟) .. صورة فى إطار للرجل وزوجته وابنته .. أحياناً تشعر (عبير) بأن كل رجل أمريكى مطلق أو منفصل إلى أن يثبت العكس ..

أما الرجل نفسه ـ كما تراه فى الصور ـ فهو ضخم الجثة بدأ الشعر يزول عن مقدمة رأسه .. إنه فى الخمسين أو منتصف الأربعينات من عمره ..

إنها تواجه الكاميرا ، وظهرها للصورة الموضوعة فى إطار .. وتقول بتلك الطريقة السخيفة التى تجيدها المذيعات هناك :

ـ « وهكذا لقى (ويليام باكستر) البائع الجوال هادئ الطباع حتفه .. »

إذن الرجل اسمه (ويليام باكستر) ؟ جميل .. إنها تخبر نفسها بمعلومات مهمة جداً ..

ـ « بنفس الطريقة الشنيعة التى لقى بها (جوش كيندرلى) نهايته .. »

إذن هذه ليست المرة الأولى ؟ عليها أن تصغى لنفسها بدقة لأنها ـ كما هو واضح ـ تعرف الكثير ..

ـ « وهذا من جديد يطرح السؤال : من قتل هؤلاء ؟ ولماذا ؟ ولماذا قتلهم بهذه الطريقة البشعة ؟ إن على إدارة الشرطة فى (نيويورك) أن تجد الحل السريع ، قبل أن يتفشى الذعر فى الولاية .. (ويلما موريسون) .. FFF News »

إذن هذا هو اسمها ؟ جميل .. إنها تعرف كل ما يسمح لها ببدء القصة إذن ..

وأشار لها المصور بإبهامه إلى أعلى بمعنى أنها كانت رائعة ، فتنفست الصعداء وتحررت من وقفتها الإعلامية الثابتة .. قال لها وهما يتجهان إلى المصعد :

ـ « إنها الثالثة ونحن لم نأكل بعد .. ما رأيك فى هامبرجر بالجبن ؟ »

طبعًا كانت تمقت اسم أكلة كهذه ، وكانت تفضل شطيرة من (الطعمية) بالسلطة ، لكنها الآن تلعب دور الأمريكية المنطلقة ، مما يحتم عليها أن تقول :

ـ « واو ! كوووووووووووول »

أى أنها فكرة لطيفة جدًا .. كانت شاردة الذهن .. ما معنى هذا ؟ وما دور (رفعت إسماعيل) العجوز فيه ؟ طبعًا لو ظهر فالجواب معروف .. لقد مات هؤلاء بقوى خارقة للطبيعة ، وهو شىء متوقع على كل حال .. فلا أحد يقتل ضحاياه بأن يلفهم حول أنفسهم ثلاث مرات كأنك تطوى رغيفًا لتدسه فى جيبك .. إن طريقة القتل هذه لها رائحة كتب سحر القرون الوسطى .. لا يوجد شيطان يحترم نفسه فى تلك الكتب ، لا يدير رأس قتلاه إلى الاتجاه المعاكس ..

المهم أنها تناست الأمر ، وجلست تلتهم الهامبرجر بالجبن .. بينما (جيرى) يثرثر عن أحلامه بدراسة الإخراج السينمائى ، والتوجه إلى (هوليوود) ..

راحت عيناها تدوران فى القاعة حولها ، ثم توقفتا أمام رجلين جالسين إلى منضدة .. الأول أصلع الرأس نحيل يبدو مألوفًا ببذلته الكحلية الواسعة قليلاً .. يضع العوينات وهى اختراع خاص بهذا العالم الذى لا يضع فيه أحد (النظارات) على ما يبدو .. والثانى ضئيل الحجم له ملامح طفولية دقيقة كالدمية .. كان الأول يرشف القهوة عابسًا مكفهر الوجه ، والآخر يتحدث فى حماسة وهو يشوح بيديه فى الهواء وينظر إلى السقف من آن لآخر ، وكانت أمامه كأس كبيرة من القشدة المثلجة لم يمسه قط حتى أوشك على أن يذوب كله ..

ثم إنه نهض فجأة وقال كلمة ، وهو يعض على أسنانه وهرع جريًا باتجاه الحمام ..

الأول هو (رفعت إسماعيل) .. لا شك فى هذا .. هى الآن تعرفه جيدًا ، وإن كانت لا تدرى لماذا ظهر هنا ؟ الآخر هو .. لا .. لا تستطيع أن تخمن ..

إن (رفعت) جالس فى مكانه بلا حراك .. لكن شيئًا ما ليس على ما يرام .. شاحب اللون يتحسس صدره فى ألم واضح .. يمد يده إلى جيبه ويخرج علبة صغيرة ويسكب بعض ما تحتويه فى كفه . يلتقط قرصًا ، هنا يغلبه الألم فيسقط ما التقطه على الأرض ، ويحاول دون جدوى أن يلتقطه ثانية ..

الظريف هنا أن الكل لاحظ ما يحدث ، لكن أحدًا لا يتدخل .. كأن إنقاذ شخص يموت عمل مناف للياقة ويدل على تدخلك فيما لا يعنيك .. إنهم يراقبون المشهد بلا مبالاة .. ربما بانتظار أن يموت حتى يعودوا لتناول طعامهم فى هدوء ..

هذا هو العجوز (رفعت إسماعيل) .. متأهب للموت فى أى مكان وأية لحظة ، والغريب فى هذه القصص أنه لا يفعل ذلك أبدًا .. لم تر فى حياتها مريضًا أكثر صحة ولياقة منه ..

* * *

إنك تعرف متى يأتون .. لكنك لاتعرف أبدًا متى يرحلون ..

★ ★ ★

بوم ! بوم !! حتى فى الظلام !

★ ★ ★

ما هذا ؟ ما دخل هذه العبارات فى السياق ؟ من الذين يأتون وما هذا الذى يدق (بوم بوم) حتى فى الظلام ؟ من جديد يبدو أنها إحدى تقنيات المؤلف التى يستخدمها بإفراط ..

دعنا من هذا ولنعن بهذا العجوز الذى يخطو إلى القبر بخطوات واسعة ما لم ننقذه الآن ..

هرعت إلى الأرض فالتقطت القرص ودسته فى فمه .. ظل ساكنًا لحظة يستحلب ما تحت لسانه ، ثم بدأ يهدأ قليلاً .. وعادت الدماء تتدفق فى عروقه ..

ـ « شكرًا .. شكرًا .. إنه (النيتروجلسرين) كما تعلمين .. نوبة .. نوبة قلبية .. »

سألته فى شك وهى تعينه على النهوض بمعونة المصور :

ـ « أليس النيتروجلسرين مفجرًا ؟؟ أليس أهم مكونات الديناميت ؟ »

ـ « وهو يوسع الشرايين التاجية كذلك .. النترات قصيرة الأجل .. هذا موضوع يطول .. المهم أنك أنقذت حياتى .. »

وعاد يجلس إلى المنضدة ، ومد يده إلى القهوة يرشف جرعة أخرى فهتفت :

ـ « لحظة .. المفترض أن القهوة تؤذى مرضى القلب .. »

قال فى بساطة :

ـ « لقد تجاوزنا مرحلة الإيذاء هذه .. إنها تتعاطف معى ، فقد أدركت أنى غير ذى خطر .. وقد صرنا صديقين الآن .. »

ثم مد يده لها مصافحًا :

ـ « (رفعت إسماعيل) .. طبيب مصرى .. أنا هنا فى مهمة علمية .. »

ـ « (ويلما موريسون) .. مذيعة تلفزيون .. »

وقدمت له زميلها المصور ، فدعاهما إلى الجلوس معه .. لم يبد المصور متحمسًا لمشاركة هذا العجوز المحتضر نفس المنضدة ، لكنها أدركت أن ظهور (رفعت) هنا يعنى أن طرف المغامرة قد ألقى لها ، وعليها ألا تتركه من هذه اللحظة ..

هنا جاء الرجل قصير القامة من الحمام وقد أغرق ثيابه بالكامل بماء الصنبور .. كان أمريكيًّا كما هو واضح .. والأهم أنه يهودى .. هذه الملامح لا يحملها إلا يهودى . وقال وهو يتخذ مقعده :

ـ « معذرة .. كنت فى الحمام .. مشكلة بروستاتا صغيرة .. »

قال (رفعت) يقدمه :

ـ « (سام كولبى) .. هناك من يزعمون أنه أعظم ساحر فى (نيويورك) .. وهناك من يزعمون أنه مجرد نصاب .. الفريق الأول يتكون من شخص واحد : هو نفسه .. الفريق الثانى يتكون من باقى العالم وعلى رأسهم أنا .. »

قال (كولبى) وهو يجفف الماء من على وجهه بمنشفة الطعام :

ـ « إنه يمزح .. صديقى دكتور (إسماعيل) يحب المزاح .. هىء هىء .. »

ثم نظر إليها مليًّا وهتف فى ذهول :

ـ « أنت (ويلما موريسون) !! المذيعة الأهم فى شبكة FFF News !! ولكن .. دعينى أؤكد لك أن هذا يوم مجيد ! إننى أعتقد أن كل لحظة تتوارين فيها عن الشاشة هى وقت ضائع ! »

كانت تنظر له بدهشة ، حين قطع كلامه فجأة ونهض :

ـ « معذرة .. الحمام .. إنها البروستاتا كما تعلمون ! » ـ والتفت لها صائحًا ـ « لا ترحلى .. سأعود حالاً .. »

وجرى مسرعًا .. لم تعتقد قط أن الكلية ترشح البول بهذه السرعة . فقال لها (رفعت) باسمًا :

ـ « إن قصته مع البروستاتا ملحمة تشبه ملحمة (جلجاميش Gilgamesh) .. لكن أعتقد أنه ـ وقد تعرفك ـ لن يطلق سراحك ، فهو يعانى جوعًا مزمنًا إلى الشهرة ، وإلى من يعترف به .. »

عاد (كولبى) من الحمام ، فجلس وراح ينظر لها فى انبهار آثار خجلها ، ثم قال :

ـ « أنا راغب فى الظهور على شاشتكم .. وصدقينى إن ما سأقوله لك سيجلب اهتمام المشاهدين .. وهو نفس السبب الذى جعلنى أطلب لقاء الدكتور (إسماعيل) هنا .. إن لدى معلومات مهمة عن سفاح (نيويورك) الذى يثير اهتمام الإعلام .. ولسوف أقولها أمام عدسات الكاميرا .. »

تبادلت نظرة مع المصور ، وقررت أن الرجل مجنون أو نصاب على الأرجح ، لكن ربما كان لديه شىء مهم ..

هنا هتف (رفعت) وقد صعد الدم إلى رأسه (نحن فى عالم لا يغتاظ فيه الناس ، وإنما يصعد الدم لرءوسهم) :

ـ « منذ ثلاث دقائق قلت لى إن الأمر خطير ، وإنه سيظل سرًا بأى ثمن وتحت طائلة الموت .. والآن تنوى أن تذيعه على شاشة التلفزيون ! هكذا فقدت كتمانك البطولى أمام أول عدسة .. »

وكانت (عبير) تفهم هذا على كل حال .. إن سطوة الإعلام تجعل الناس يفشون أدق أسرارهم أمام العدسات .. وتجعلهم يتحملون أسئلة لو وجهها لهم واحد غير المذيع لتلقى لكمة فى أنفه ..

قال (كولبى) وهو يجفف وجهه بالمنشفة :

ـ « إن الأمور بهذه الطريقة ستكون أفضل يا دكتور . صدقنى .. »

ثم نظر (كولبى) إلى (عبير) وقال بلهجة النصر ، وهو يناولها بطاقة صغيرة :

ـ « إذا كان الأمر يهمك ، فعليك أن تأتى مع طاقم التصوير إلى دارى .. ستكون هناك جلسة تحضير أرواح ذات أهمية خاصة ! »

★ ★ ★

3ـ أسطورة الـ .....!

نظرت (عبير) إلى عنوان الفصل ، فغمرتها الدهشة .. إنه مكرر .. هنا تذكرت أن المؤلف يكرر عنوان الفصل نحو خمسين مرة فى القصة الواحدة ، وفى كل مرة يقول إنه ليس متأكدًا مما إذا كان أورده من قبل .. برغم أنه من السهل أن يطلق على الفصل اسم (عباس) أو (طلبه) أو أى اسم آخر .. ربما فيما بعد يطلق على الفصول (أسطورة الـ .. بشرطة) كما يفعلون مع الحافلات فى القاهرة ..

★ ★ ★

فى الساعة العاشرة مساء عرفت (عبير) أن هناك قتيلاً آخر ..

فى (مانهاتن) كانت صفارات عربات الإسعاف تعوى .. وعربات سيارات الشرطة تعوى .. ومئات الأضواء الملونة ترقص فى جنون باحثةً عن هدف ..

ومن جديد تركض (عبير) وسط الراكضين ، يلهث خلفها الفتى التعس المدخن (جيرى) حاملاً الكاميرا التى قام بتشغيلها .. وكان هذا يعطى تأثيرًا مهتزًا للصورة يحبه

كثيرًا لأنه يذكره بسينما الحقيقة الفرنسية Cinema Verite .. كل أفلام مخرجي الحقيقة هؤلاء تهتز فيها الصورة ، ولا تكاد ترى شيئًا أبدًا .. وكان (جيرى) كأى أمريكى يشعر بأن كل ما يأتى من أوروبا مثقف رفيع جدير بالتقليد ..

كما عرفنا القتيل هذه المرة اسمه (مايكل ستورداليان) .. وقد بدا لها الاسم غريبًا .. فقال لها المصور وهو يركض ، وبرغم هذا لا يتخلى عن لفافة التبغ بين شفتيه :

ـ « هذا هو طابع هذه القصص .. إن المؤلف طلبًا للدقة يبحث عن الأسماء فى القصص والمجلات الأجنبية ، وكلما كان الاسم معقدًا بدا له أفضل وأدنى إلى الواقعية .. إن قليلين يعرفون أن (جينغ ـ تشا) و(هن ـ تشو ـ كان) بطلا (الكاهن الأخير) هما ـ فى الحقيقة ـ عضوان فى لجنة التثقيف الشيوعى فى ريف الصين .. كان بحاجة لاسمين صينيين مناسبين ، ففتح مجلة (بناء الصين) واختار اسمين راقا له .. نفس الشىء بالنسبة للأسماء الاسكتلندية والرومانية والسويدية .. لم يحب قط مباريات كرة القدم ، لكنه يتابع كأس العالم باهتمام ممسكًا بقلم وورقة ، وهو يرى أن الفريق الرومانى يضم أروع مجموعة من أسماء

مصاصى الدماء فى التاريخ ! ذات مرة قرأ اسمًا يونانيًا لسائح هو (ستافروس دندرينوس) فكاد يبكى من روعة الاسم ! وقد احتفظ به فى بطاقته الشخصية دهرًا إلى أن كتب (أسطورة المينوتور) . إنه يمقت الأسماء الملفقة حتى فى العربية .. ويؤمن أن الاسم الذى لا ينتمى لشخص ما يبقى ذا رنين ملفق سخيف .. »

ـ « هذا مزاج غريب .. »

ـ « ولكن دعينا من هذا ولنر ما حدث هنا .. »

كانت الشرطة تحيط بالمكان ، وفى هذه المرة لم تكن هناك استثناءات .. لا أحد يرحب بالصحفيين هنا .. وظهر ملازم ضخم الجثة ولوح بيده كأنما يطرد مجموعة من الدجاج ، حتى أوشك أن يقول (بيتك .. بيتك) ..

ـ « هيا يا شباب ! لا يوجد ما ترون .. »

وهنا وجدت (عبير) فرجة بين الصفوف .. فرجة من الفرجات التى تجدها بطلات القصص دومًا ، ولا يمكنك أن تجدها أنت فى أى طابور جمعية .. هكذا أشارت من طرف خفى للمصور ، وراحت تنساب منحنية بين الصفوف .. طبعًا لم يلحق بها لأن اختفاءه سيكون أصعب نوعًا ..

كان المكان هذه المرة مطعمًا من المطاعم التى تقدم الطعام الأمريكى عديم اللون والرائحة والطعم ، والذى لا يكتسب مذاقًا إلا مذاق ما يضاف إليه .. هناك فوضى وهناك مقاعد مقلوبة .. هناك دماء على الجدار ، وهناك رائحة موت لا شك فيها ..

هناك كان رجال المختبر الجنائى يلتفون حول جثة يبدو أنها تحولت إلى عجين .. وكانت على الجدران بعض الصور ، وثمة مجموعة من شرائط الفيديو متناثرة على (الكاونتر) .. ترى العناوين من مكانها : (المهمة : المستحيل) .. (البرتقالة الميكانيكية) .. (الصخرة) .. (الشفرة) .. كلها أفلام عنف أو رعب تدل بوضوح على أن القتيل ـ وهو صاحب المطعم غالبًا ـ شخص طبيعى جدًا .. فقط هو يتمنى ـ كأى شخص وديع آخر ـ لو يذبح بعض الناس ، ويسرق مصرفًا ، ويخطف فتاتين أو ثلاثًا ..

هنا تصلبت منابت شعرها .. قد يكون هذا مهمًا وقد لا يكون .. لكنها رأت نفس الشعار على شريط الفيديو فى شقة (ويليام باكستر) ظهر اليوم .. شركة فيديو (شانجرى لا) Shangri -- La .. إن هذا الاسم لا ينسى بسهولة ..

ولو كانت (عبير) عبقرية مثلك لعرفت أن (شانجرى لا) هى ذلك العالم الخيالى الذى لا وجود له ، والذى تحدث عنه (هيلتون Hilton) فى قصته (الأفق المفقود Lost Horizon) .. وقد استعمله رئيس أمريكى حين سأله الصحفيون عن المكان الذى تجرى فيه تجارب القنبلة الهيدروجينية ، فقال أول اسم ورد لذهنه وهو (شانجرى لا) .. والغريب أن الصحفيين صدقوا أن هناك مكانًا بهذا الاسم ، وراحوا يكتبون عن خطورة التجارب النووية على سكان (شانجرى لا) !!

« فقط (مارجريتا) تأخذنى إلى (شانجرى لا) .. » هكذا تقول الأغنية المرحة ..

هنا تذكرت (عبير) أنها غرقت فى هذه الخواطر ربع ساعة ، وهذا لأن كاتبنا الحالى مولع إلى أقصى حد بالاستطراد ، حتى لتشعر بأنه يكتب القصة لا ليحكيها بل ليستطرد .. ولو كانت (عبير) مع أى كاتب آخر ، لدست الشريط فى حقيبتها على الفور ، وغادرت المكان فى رشاقة ..

أما مع كاتبنا هذا فقد تأخرت كثيرًا جدًا .. وحين قررت أن تستولى على الشريط ، سمعت من يصيح فيها :

ـ « ممنوع لمس شىء يا فتاة ! هذا مسرح جريمة ! »

نظرت للوراء لتجد ذلك الضابط ضخم الجثة الذى طرد الصحفيين ، فأجفلت .. قال وقد فهم كل شىء :

ـ « أنت مراسلة تلفزيون .. أنا أعرفك ، وقد تسللت وسط أخيلة المقاتة الواقفين على الباب .. ليكن .. سأتركك ولكن حذار من أن أراك فى مسرح جرائمى بعد اليوم ! »

قال (مسرح جرائمى) بفخر كأنه هو الذى قتل القتيل ..

على كل حال كانت (عبير) قد التقطت كل شىء .. اسم شركة الفيديو .. رقم الهاتف .. ودونته فى المفكرة الصغيرة الموجودة بين أذنيها : مخها .. هكذا أسرعت بمغادرة المكان مرتبكة .. وهرعت تلحق بـ (مايك) الذى كان ينتظرها بالكاميرا .. حاول أن يتكلم فأخرسته ..

أخرجت القلم وبسرعة راحت تدوّن فى مفكرة حقيقية رقم الهاتف واسم الشركة ..

قال (مايك) فى ضيق وهو ينفث التبغ فى شراهة :

ـ « هل نرحل الآن أم ننتظر حتى يظهر رئيس الشرطة ويقول : لا تعليق ؟ »

ـ « سننتظر يا (مايك) .. »

ثم تذكرت شيئًا فسألته :

ـ « ألم يكن اسمك (جيرى) ؟ »

هز رأسه وابتسم :

ـ « بلى .. لقد تغير .. إن المؤلف يخلط بين الأسماء أحيانًا .. وقد يبدأ (ستيف) القصة ليصير (مارك) وينهيها وهو (جون) .. هذه الأشياء تحدث .. »

كانت تفكر فى شرود .. ثم التقطت جهاز الهاتف الخلوى ، وطلبت الرقم الذى دونته .. هنا جاء صوت فتاة رفيعًا حادًّا يسأل :

ـ « فيديو (شانجرى لا) .. هل من شىء أقدمه لك ؟ »

ـ « نعم .. نعم .. العنوان لو سمحت .. »

أخبرتها الفتاة بالعنوان ، فدونته (عبير) بسرعة .. ثم قالت لـ (مايك) وهى تبتعد :

ـ « التقط صورة أو اثنتين .. أما أنا فأشعر بالرغبة فى مشاهدة فيلم فيديو عنيف الليلة .. »

نظر لها فى غباء .. إنها غريبة الأطوار اليوم ...

* * *

« فقط (مارجريتا) تأخذنى إلى (شانجرى لا) .. » هكذا تقول الأغنية المرحة ..

★ ★ ★

لم يكن أفخم ولا أكبر نادى فيديو فى الولايات المتحدة ..

بالواقع كان عبارة عن فجوة بين بنايتين شامختين ، وله مدخل ضيق رطيب .. إضاءة خافتة كئيبة .. وأنت تمشى بين صفين من الملصقات التى تمثل الرجال عنيدى المراس وهم يحملون البنادق الآلية ليخربوا بيت أعدائهم ، والأخ (بيرس بروسنان) ينظر لك فى حنكة ليخبرك أن عليك أن تموت فى يوم آخر .. تلك العناوين التى تتظاهر بعمق لا وجود له وشاعرية مزيفة ، والتى تميز الكاتب السطحى (إيان فلمنج Ian Fleming) ..

كانت الفتاة الواقفة خلف الكاونتر من طراز البائعات الملولات اللاتى يرغبن فى العودة إلى ديارهن طيلة الوقت ، لكنها حرصت على أن تجذب الشباب ـ الأمريكى طبعًا ـ بارتداء ثياب جلدية لصيقة سوداء ، مع كثير من الوشم طبعًا ، وذلك الماكياج المميز للشيطانيين Satanics ..

نظرت لها نظرة من طراز (هذا ـ المكان ـ لا ـ يناسب ـ

يمامة ـ مثلك) .. فنظرت لها (عبير) نظرة من طراز (أنا ـ أعرف ـ كيف ـ أعنى ـ بأمرى) .. إن مؤلف هذه القصص يؤمن بكلام النظرات إلى حد مبالغ فيه .. ربما تقرأ استجواب بوليس يتم بالنظرات .. الضابط ينظر نظرة من طراز (اسمك ـ وسنك ـ وعنوانك) فيرد المتهم بنظرة من طراز (عباس ـ أبو ـ شفة ـ 35 ـ سنة ـ 8 ـ حارة ـ الشحاذين) .. الخ ....

هذه المرة تكلمت الفتاة :

ـ « هل لى أن أقدم لك خدمة يا حبيبتى ؟ أفيلمًا أم DVD ؟ »

تأملت (عبير) شفتيها المصبوغتين بالأسود وارتجفت .. قالت وهى تتأمل الشرائط :

ـ « أريد .. أريد فيلم (الشفرة) .. »

بلا رد فعل معين ، دخلت الفتاة إلى ما وراء الستار الأحمر خلفها ، وعادت حاملة شريطًا بيدها المكسوة بقفاز أسود دون أصابع ، ودسته فى كيس صغير ، فشكرتها (عبير) وأعطت بياناتها ودفعت الثمن .. هذا غريب .. كانت تتوقع أن تقول الفتاة : ليس عندى .. إنه عند .... ثم تعطيها بعض

البيانات عن العميل الذى لم يعد عميلاً (مايكل ستوردليان) .. فلابد أن لديهم عدة نسخ من هذا الشريط ..

استقلت سيارة أجرة عائدة إلى دارها ..

طبعًا كانت وحيدة .. عرفت هذا من اللحظة الأولى .. هذه هى (نيويورك) حيث يجب أن تعيش فى وحشة وكآبة .. وحيث استلهم (لافكرافت Lovecraft) سيد الرعب أفظع قصصه ..

شقتها أنيقة راقية ونظيفة جدًا .. لكنها باردة كالثلج .. وهناك صورة جدارية عملاقة لها ، فمن الواضح أنها لم تكن تتمتع بالتواضع ..

أعدت لنفسها عشاء بسيطًا ثم بدأت تشغيل الشريط ..

هنا دق الهاتف ....

أجفلت للحظة ثم تناولت السماعة .. هنا سمعت صوت عجوز يبدو أنه غير أمريكى .. بل هو (رفعت إسماعيل) العجوز ذاته .. كيف عرف ؟ لابد أنها تركت رقم هاتفها لذلك النصاب (كولبى) ..

ـ « أنا دكتور (إسماعيل) .. هل (كولبى) عندك ؟ »

ـ « هذا عنوانى أنا لو كنت لاحظت هذا .. وليس من عادتى اصطحاب (العمل) إلى دارى .. »

ـ « أعرف .. لكنك بعد إجراء اللقاء خرجت معه .. »

ـ « أى لقاء ؟ »

ـ « اللقاء الذى قام فيه بتحضير الأرواح .. لو كنت قد نسيت ما قمت به منذ ساعتين فأنت فى مشكلة ! »

هنا توترت .. إنه لا يمزح .. الأمر حقيقى تمامًا .. الاحتمال : هو مخطئ أو مخبول ..

ـ « د . (رفعت) .. أنا مرهقة بحق ، وليست لدى النية كى .... أنا لم أر السيد (كولبى) منذ عصر اليوم ! »

ساد الصمت قليلاً ثم قال :

ـ « إذن أحدنا كاذب أو مخبول .. ولا أرجو أن نكون الاثنين معًا .. »

ثم بعد قليل قال :

ـ « لقد اختفى (كولبى) تمامًا .. لا أثر له .. وأعتقد أنه يجب أن نلتقى الآن ! »

* * *

4ـ شانجرى لا ..

ـ « فقط (مارجريتا) تأخذنى إلى (شانجرى لا) .. »

★ ★ ★

تحرك الشىء من وراء الباب ، ونظرت (عبير) جيدًا ..

هل هى تحلم أم أن المقبض يتحرك ؟

صاح (رفعت) وهو يبدل عويناته ليتمكن من أن يرى :

ـ « إنه يفتح الباب فعلاً .. هلمى يا حمقاء ! »

قالت وهى تتراجع إلى الوراء :

ـ « لكن .. لا يمكن أن .. لا يمكن أن .. »

جذبها من يدها .. إن يده برغم نحولها تؤلم ، كأنها يد هيكل عظمى .. وصاح وهو يتقدم إلى النافذة :

ـ « لو شئت أن تبقى هنا للأبد لممارسة هوايتك فى اللعثمة ، فهذا موضوع آخر .. أما الآن فأنا أرى أن .. »

وفتح النافذة ، ودفعها إلى الخارج دفعًا ....

إنها تثب لتسقط وسط الأعشاب الندية التى يغمرها الظلام ..

وفى هذه اللحظة سمعت الباب ينفتح بالكامل ، و(رفعت) يصرخ :

ـ « أنت ؟ !! »

مدت (عبير) يدها فاصطدمت بجسد آدمى .. فتحت فاها لتصرخ لكن يدًا حازمة وضعت على فمها ، وسمعت صوت (المرشد) يقول :

ـ « أنا المرشد يا حمقاء ! صمتًا !! »

سألته فى ذهول :

ـ « ماذا حدث ؟ كيف صرت فى هذا الموقف ؟ »

قال وهو يدفن رأسه وسط الأعشاب :

ـ « هذه طريقة للسرد يمكنك أن تطلقى عليها (فلاش فورورد) وهى عكس الـ (فلاش باك) الذى يعرض عليك لمحة من الماضى .. هنا ترين لمحة مما سيحدث فى القصة فيما بعد .. إن المؤلف مولع بهذه الطريقة للأسف .. »

ـ « لكنى لم أعد أعرف أين أنا وماذا أفعل .. أريد سردًا تقليديًا يعتمد على (بداية ـ وسط ـ نهاية) .. »

- « وهنا ما هو أسوأ من هذا .. أحيانًا يبدأ المؤلف القصة بمشهد الذروة ، ثم يعود بك إلى البداية ليحكى كيف وصلت الشخصيات إلى هذا الموقف .. اسم هذه الطريقة In Medias Res »

- « إنه غريب الأطوار حقًا . ولكن ما الذى يحدث لـ (رفعت) الآن ؟ »

قال لها فى برود :

- « سنعرف فيما بعد .. الآن تعودين لسياق القصة العادى ! »

★ ★ ★

جاء (رفعت) إلى شقتها بعد نصف ساعة من المكالمة ..

فتحت له الباب ، فكان يلهث كمن يوشك على السقوط ميتًا .. وكان كئيبًا كالقبر .. الحقيقة أن (رفعت إسماعيل) كان بلا جدال من أقبح من رأتهم فى حياتها ، لكنه ـ كذلك ـ يملك نوعًا خاصًا من الجاذبية .. إنه مسلٍّ كثمرة (الدوم) الجافة التى تؤلم أسنانك لكنك لا تحب تركها .. يقول الممثل العالمى (جاك نيكولسون Nickoloson) : إننى أزداد قبحًا عامًا بعد عام ، لكننى لسبب لا أفهمه أزداد جاذبية ..

قال لها وهو يجلس على الأريكة :

- « ثمة شىء يجب أن تعرفيه جيدًا .. لقد رأيت كل شىء تقريبًا .. وقابلت نفسى أكثر من مرة ، لكن لا تؤكدى لى أنك لم تكونى موجودة فى ذلك اللقاء التلفزيونى .. لا لغرابة الأمر ، ولكن لأنه سيجعل فهم الأمور عسيرًا .. إن الحياة معقدة بما يكفى .. »

قالت فى ضيق :

- « أنا لم أجر أى لقاء تلفزيونى .. لقد عدت من العمل إلى هنا .. »

فكر (رفعت) قليلاً ووضع ساقًا على ساق كاشفًا عن عظام يكسوها الشعر :

- « هذه إذن تيمة (إن صديقك الذى سهرت معه لم يكن صديقك) .. إن للرعب تيمات معينة أعرفها جميعًا ، ولكن لننتظر ولنر .. »

قالت له وهى تصب بعض العصير فى كوب :

- « وهل لا بد للمسوخ من أن تصنف نفسها تحت تيمة ما ؟ »

- « لا مجال للارتجال هنا .. نحن نعيش فى عالم (الأنواع) .. وعلى كل حال إن الطبيعة تقلد الفنان كما قالها (وايلد Wilde) كثيرًا جدًا .. اليوم لا بد لكل مسخ يحترم نفسه أن يجد نوعًا من الرعب يتخصص فيه .. »

ثم أردف وهو يتناول كوب العصير منها :

- « فى السابعة مساء اتصلت به وجئت إليه أنت ومصورك الشاب .. وهكذا استدعانى (كولبى) لأنه يرغب فى أن أحضر التجربة معه .. وقد حضرت على الفور بمجرد أن انتهيت من ارتداء البذلة الكحلية لأنها تبدو فاتنة على شاشة التلفزيون .. وبدأت جلسة تحضير أرواح بطريقة لوح (الويجا) .. يبدو أنه لا يجيد إلا هذه الطريقة .. كنت تصورين كل شىء فى اهتمام ، بينما زعم (كولبى) أنه يحضر روح (جوش كيندرلى) أول ضحايا سفاح (نيويورك) .. »

سألته فى دهشة وقد بدأت تشعر بأنه مخبول :

- « أنا فعلت هذا كله ؟ »

- « بالتأكيد .. وصدقينى أنك كنت أكثر جمالاً منك الآن .. فلابد أن ذلك المتنكر أو المسخ أو الإكتوبلازم قد جاملك أكثر من اللازم . بعد قليل راح القرص يتحرك ، واستطعنا أن

نقرأ كلمات من يزعم (كولبى) أنه (كيندرلى) .. كان يردد دون توقف لفظة : (أنا أبصق على قبرك) .. (أنا أبصق على قبرك) .. ولا شىء غير هذا .. »

« لم تبد لى المعلومات عالية القيمة إلى هذا الحد .. إن (كولبى) يعشق الشهرة ، ولكن لو لم يكن لديه ما هو أفضل من قرص يردد (أنا أبصق على قبرك) فهو فى مشكلة .. »

« هنا صحت أنت فى ذكاء مؤكدة أنك تعرفين معنى هذا .. (أنا أبصق على قبرك) هو ملهى رومانسى رقيق فى (بروكلين) .. وكان (كولبى) قد أنهى الجلسة ، فقلت له إنك ستذهبين معه إلى (أنا أبصق على قبرك) للبحث عن السفاح باستعمال موهبته الخاصة .. »

« كنت أنا كالعادة متشككًا .. فسألته : هل هذه هى المعلومات التى ملأت الأرض والسماء طربًا لحصولك عليها ؟ قال لى فى شىء من الحرج : إن تجاربى السابقة كلها خرجت بالنتيجة ذاتها : حل اللغز هو فى (أنا أبصق على قبرك) .. مع رجل يدعى (جالاجر) .. »

« هكذا انطلق فريق المتحمسين إلى (أنا أبصق على قبرك) بينما خيرنى (كولبى) بين المجىء معهم أو الانتظار

هنا أو العودة لفندقى أو الموت .. لم أحب أيًا من هذه الاقتراحات .. وقررت أن أبحث عن دار سينما تعرض فيلمًا رديئًا .. إن الأفلام الرديئة تساعدنى على النوم المريح .. »

« لما انتهى الفيلم عدت لشقة (كولبى) فلم أجده .. عاودت الاتصال مرارًا فيما بعد لكن لا أثر له .. الآن يمكننى فهم ما حدث .. لم تكن هناك مذيعة تلفزيون ولا مصور .. والذهاب إلى (أنا أبصق على قبرك) لم يكن إلا .. لنقل إنه طُعم .. لقد ذهب (كولبى) إلى مكان مجهول مع شخصين لا نعرف عنهما شيئًا .. »

فكرت (عبير) قليلاً ثم قالت :

- « (بروكلين) فى هذه الساعة المتأخرة ؟ ما كنت لأفعل هذا بكامل قواى العقلية .. »

- أعرف .. العصابات وقطاع الطرق .. الحق أن بلادكم تتمتع بأمن غير عادى .. لكنى أتمنى أن يكون هناك حمام نظيف فى المكان الذى سيوجد فيه .. سوف يحتاج إليه أكثر من أى واحد آخر .. »

- « وماذا نفعل ؟ نلحق به هناك ؟ »

- « لن نجده على كل حال .. »

- « وماذا نستنتج من هذا ؟ »

قال فى بساطة :

- « أن (كولبى) لم يكن أحمق .. إنه يعرف أكثر من اللازم ، وهو قد وضع يده على شىء .. لهذا قرر أحدهم أن يسكته أو يبعده .. »

- « (أنا أبصق على قبرك) ؟ (جالاجر) ؟ »

- « لا أعرف معنى هذا .. لكنى متأكد من شىء واحد : لا علاقة للموضوع بذلك الملهى فى (بروكلين) لو كان له وجود .. ابحثى عن أى شىء آخر .. »

ثم نهض متجهًا إلى الباب ، فسألته :

- « هل ترحل الآن ؟ »

- « سأعود لفندقى .. لقد توغل الليل .. »

- « قد تكون فى خطر ما ؟ »

- « لا أظن .. أنا بهذه القصة أجهل من دابة ، ولم نسمع عن دابة قتلت لأنها تعرف أكثر من اللازم .. »

كلامه منطقى .. لكن هذه القصة لا تستجيب للمنطق ..

على كل حال هو رجل رشيد يعرف كيف يحمى نفسه أو على الأقل يحاول ..

* * *

هل تنتهى هذه الليلة ؟

ضغطت على زر جهاز (التحكم عن بعد) واستلقت مسترخية على الأريكة .. كانت مطمئنة إلى أنها مرهقة ، ولسوف تغرق فى النوم قبل أن ينتهى الأخ (الشفرة) من قتل نصف مصاصى الدماء .. لكنها كانت فقط راغبة فى معرفة شىء عن (شانجرى لا) هذا ..

راحت الأحداث العنيفة تتدفق .. وراح مخها يدور فى أفلاك أخرى ..

هنا استرجعت ذكرى واضحة كالشمس من أحداث اليوم ..

- « ممنوع لمس شىء يا فتاة ! هذا مسرح جريمة ! »

نظرت للوراء لتجد ذلك الضابط ضخم الجثة الذى طرد الصحفيين ، فاجفلت .. قال وقد فهم كل شىء :

- « أنت مراسلة تلفزيون .. أنا أعرفك ، وقد تسللت وسط أخيلة المقاتة الواقفين على الباب .. ليكن .. ساتركك ولكن حذار من أن أراك فى مسرح جرائمى بعد اليوم ! »

★ ★ ★

وهرعت تلحق بـ (مايك) الذى كان ينتظرها بالكاميرا .. حاول أن يتكلم فاخرسته .. أخرجت القلم وبسرعة راحت تدون فى مفكرة حقيقية رقم الهاتف واسم الشركة .. و ...

هنا أدركت حقيقة أخرى .. إنها لا ترى هذه الأحداث على تلك الشاشة التى خلقها الله فى وعى كل منا ، وإنما تراها على شاشة أخرى .. شاشة التلفزيون !

هبت معتدلة فى جلستها ، وأعادت تقييم الموقف .. نعم .. لا خرافة هنا .. هذا الذى على شاشة التلفزيون هو مشاهد من يومها .. إنها .

(لكن هذا مستحيل .. وهى متأكدة من أنه ...)

ترى نفسها من الخارج .. وتتابع

(.. لم توجد أية كاميرا داخل الشقة)

كل ما قيل حين كانت تحقق فى شقة القتيل !

الأغرب من كل هذا تلك التقنية الغريبة فى الكتابة .. الجملة مقسومة تتخللها خاطرة فى سطر آخر ، ثم تعود الجملة .. ثم الخاطرة .. إن المؤلف يجرب إحدى تقنيات (ستيفن كينج Stephen King) الشهيرة .. لكنها مربكة ، والأسوأ أنها لن تظهر أبدًا بعد الطباعة كما أرادها المؤلف ..

كأن الموقف ليس مربكًا بما فيه الكفاية ، كى يزداد سوءًا بهذه الألعاب التكنيكية !

ولعدة مرات أعادت الشريط فكانت ترى الشيء ذاته ..

ما معنى هذا ؟ هناك من كان يراقبها بكاميرا خفية ، وقد أعد هذا الشريط .. لكن متى ؟ ولماذا اختار هذا الفيلم بالذات بينما هى نفسها لم تعرف أنها ستختاره ؟ لقد طلبته فناولتها الفتاة الشيطانية إياه فى ثانية واحدة .. لا وقت لإعداد خدعة من أى نوع ..

إن هذا لا يصدق ..

كان طول اللقطة بضع دقائق ، لكنها انتهت وسرعان ما عادت أحداث الفيلم ..

مدت يدها إلى الهاتف ، وبحثت عن رقم الفندق الذى يقيم فيه (رفعت إسماعيل) .. كان قد كتبه لها أمس .. فى النهاية سمعت صوته عبر السماعة فقالت :

- « ثمة شيء مذهل يحدث الآن .. »

- « إن كل الأشياء التى تحدث الآن مذهلة .. إلى حد أننى سأندهش جدًا لو حدث شيء عادى .. »

فتحت فمها لتحكى القصة ، لكن ذلك الحافز الخفى جعلها تلزم الصمت .. لن يصدقها ولسوف تبدو حمقاء هستيرية .. إنه من الطراز الذى يؤمن بهيستيرية النساء ..

سألته عن (كولبى) فقال إنه لا معلومات عنه ، ولو كانت هناك معلومات فمن المستحيل أن تصله خلال ربع ساعة .. ثم إنه لا يرى السؤال عن (كولبى) شيئًا مذهلاً يحدث الآن ..

هكذا وضعت السماعة مبلبلة الفكر .. قال (المرشد) إنها ستكون واثقة من نفسها تجيد تولى أمرها ، فلماذا تلك الرغبة الملحة فى أن تجد بجانبها من يعرف كيف يتولى أمره ؟

★ ★ ★

بعد انتهاء عملها اتجهت بخطى ثابتة إلى نادى الفيديو العجيب ..

كانت الفتاة الشيطانية إياها ترتب الشرائط على الرفوف ، بينما التلفزيون الصغير المعلق يقدم أغنية (راب) مجنونة .. إنه عصر (الراب) تلك الأغانى التى يقدمها زنوج يلبسون ويبدون كسمكرية السيارات فى مصر .. يمكن لأى مبيض محارة فى مصر أن يحقق الملايين ، لو ابتاع قلنسوة صوفية وسافر إلى أمريكا بفانلته الداخلية ، ووضع الكاميرا على الأرض وتعلم كيف يخاطبها ويلاحقها ، وهو يغنى بتلك الطريقة السريعة المتعصبة الغاضبة بلا سبب ..

مدت يدها بالشريط إلى الفتاة ، فقالت لها فى مرح :

ـ « هل أحببته يا حبيبتى ؟ »

ـ « جداً ! »

قالتها بصوت كالفحيح .. هل الفتاة تعرف أم أن هناك من يخطط هذا من وراء ستار ؟ ماذا يوجد فى تلك الحجرة الداخلية خلف الستار الأحمر ؟

طلبت (عبير) فيلم (تحت الحصار) لأنها رأت ملصقه خلف الفتاة ، فسرعان ما غابت بالداخل ربع ثانية ـ لو أردنا الدقة ـ ثم عادت به ، ودسته فى الكيس وضحكت كاشفة عن أسنانها التى لوثها التبغ وقالت :

ـ « أى وقت يا حبيبتى .. أى وقت ! »

وهكذا استقلت (عبير) سيارة أجرة ، وعادت إلى دارها ..

كالملهوفة طوحت بفردتى حذائها ، وهرعت إلى فم الفيديو الجائع فألقمته الشريط .. سرعان ما ابتلعه فى نهم .. كلونش .. كلانش .. كلونش !!

وجلست على الأريكة وراحت تتابع الصورة على الشاشة ..

لا يوجد شىء .. لا يوجد شىء .. الإرهابيون يستولون على سفينة تجارية ، لكنهم ـ لحظهم الأسود ـ لا يعرفون أن طاهى السفينة هو (ستيفن سيجل) نفسه .. ولو كانوا أذكى لبحثوا عن سفينة أخرى يكون الطاهى فيها (شارلى شابلن) أو ....

ـ « كانت الفتاة الشيطانية إياها ترتب الشرائط على الرفوف ، بينما التلفزيون الصغير المعلق يقدم اغنية (راب) مجنونة .. إنه عصر .... فقالت لها فى مرح : ـ « هل أحببته يا حبيبتى ؟ »

ـ « جداً ! »

قالتها بصوت كالفحيح .... ثم عادت به ، ودسته فى الكيس وضحكت كاشفة عن أسنانها التى لونها التبغ .. »

هذه المرة لم يكن أمام (عبير) إلا أن تلقى برأسها إلى الوراء وتضحك .. تضحك .. هو ضحك كالبكاء أو بكاء كالضحك .. هذه روح انفجر إطارها الأمامى .. لا توجد سيطرة على أى شىء ، وعجلة القيادة لا تؤدى أى عمل ..

إن الأمر حق لا شك فيه ..

إنها قد جُنت أو توشك على ذلك .. لا توجد سوى طريقة واحدة للتأكد ..

* * *

ـ « هل شاهدته بهذه السرعة يا حبيبتى ؟ »

ـ « يبدو أننى أكره (ستيفن سيجال) .. »

ـ « لا ألومك .. البعض يعتبره أول حصان يمثل ، والبعض يعتبره أفضل شىء اخترع منذ الهامبرجر .. »

وكان الفيلم هذه المرة هو (السرعة) .. وهكذا حملته (عبير) عائدة إلى دارها ، وهذه المرة لم تقم بخلع حذاءيها .. لقد دسته فى الفم النهم وجلست مفتوحة العينين ..

« جاء (رفعت) إلى شقتها بعد نصف ساعة من المكالمة .. فتحت له الباب ، فكان يلهث كمن يوشك على السقوط ميتًا .... قال لها وهو يجلس على الأريكة : ـ « ثمة شىء يجب أن تعرفيه جيدًا .. لقد رأيت كل شىء تقريبًا .. وقابلت نفسى أكثر من مرة ، لكن .... فكر (رفعت) قليلاً ووضع ساقًا على ساق كاشفًا عن عظام يكسوها الشعر »

من جديد راحت تضحك في هستيريا .. وكانت عاجزة تمامًا عن فهم ما تشعر به حقًا .. هل خوف أم غضب أم دهشة أم استمتاع بالأمر ..

رفعت السماعة وطلبت الأحمق الوحيد الذى يمكن أن يأتى فى وقت كهذا :

ـ « د . (إسماعيل) .. أريد أن تأتى عندى حالاً .. »

★ ★ ★

5ـ شىء ما ..

ملحوظة عابرة : لو كان المؤلف يحصل على جنيه عن كل مرة يستعمل فيها عنوان (شىء ما) ، لكان قد صار مليونيرًا منذ ثلاث سنوات ..

★ ★ ★

قال لها (رفعت) وهو يلهث :

ـ « لو لم يكن لديك عمل أكثر جدوى من استدعاء عجوز مثلى إلى شقتك كلما فكرت فى شىء ، فإننى أرجو أن تعفينى من إبداء رأيى فيك »

لم تبال بسخريته .. هذا الرجل يتمتع بلسان سليط ، وملل لا حد له .. لا يكف لحظة عن اعتبار الحياة كلها مكررة من قبل ، ولو ظهر له تنين أخضر ينفجر ليخرج من جوفه (أخناتون) ويحلق بمحركات ذرية نحو (عطارد) ، لقال إنه يرى فى هذا تكرارًا لا يخلو من الإملال ..

قصت عليه القصة كلها ، ثم عرضت عليه الشريط .. هنا

حدث ما نتوقعه دومًا .. هات ابن أختك ذا الست السنوات وقل له أن يكرر على ضيفك الأغنية التى أداها أمس .. سوف ينظر لك ببلاهة ولا يفعل شيئًا .. افتح جهاز التلفزيون وحاول أن تجعل مهندس الإلكترونيات يرى الخطوط السوداء التى تظهر كل ثلاث دقائق .. ماذا يحدث عندئذ ؟ لا شىء على الإطلاق .. إن الحياة معقدة فعلاً ، ويبدو أن هناك قانونًا فيزيائيًا لا يعرفه أحد اسمه (أنت على خطأ دائمًا) ..

وهكذا ظل (رفعت) يشاهد فيلم (السرعة) فى ملل .. نصف ساعة على الأقل وهو صامت .. فى النهاية قال لها :

- « أنا أحب من يريدون الدفء الإنسانى .. لا تريدين مشاهدة هذا الفيلم وحدك .. أفهم هذا .. لكنى أتحفظ بعض الشىء على استدعائى على وجه السرعة لأرى فيلمًا لم أحبه قط .. »

كانت على وشك البكاء .. وراحت شفتها ترتجف :

- « أؤكد لك أن .... »

قال لها فى ملل وهو ينهض :

- « أفهم . أفهم .. تحاولين إقناعى أن هذه تيمة

(أنا رأيته فكيف لا يراه سواى ؟) .. هذه تيمة رعب شهيرة ، لكنها تتشابه إلى حدٍّ ما مع تعريفات الجنون .. ولما لم يكن بوسعى أن أبرهن على كلامى .... »

دززززز !

كان هذا صوت الهاتف ..

سألها فى شك :

- « هاتف يحدث (دززززز) وليس (ترررررن) ؟ »

- « هذه هى الحقيقة .. أنت تعرف أن المؤلف يعشق المؤثرات الصوتية .. هذا أسلوب شائع فى القصص المصورة ، لكنه يحب إدخاله فى القصص السردية كذلك .. »

ورفعت السماعة ، وقطبت وجهها قليلاً ورددت عددًا هائلاً من الـ (أوكى) ثم قالت :

- « قتيل آخر .. »

- « جميل .. أنا أحب الأخبار المبهجة قبل النوم .. هل هو (كولبى) ؟ »

- « لا أظن .. »

ثم نظرت لـه فـى توسل وقـالت بصوت كـالفحيح وهـى تعتصر السماعة :

- « أتوسل إليك .. أريدك معى فى هذه المرة .. إننى لا أعرف الرابط بين هـذه الأشـياء لكنه موجـود .. أريد عينًا أخرى حساسة للخوارق .. »

كان سلس القياد هـذه المرة ، فنهض متجهًا إلى الباب ، قائلاً :

- « إذن هيا بنا .. »

★ ★ ★

من جديد يتكرر المشهد الذى صار مملاً ..

فقط نحن فى ساعة متأخرة من الليل و(ستيف) مصورها المفضل يركض جوارها .. سألته وهى تركض :

- « ألم يكن اسمك (مايك) بعدما كان (جيرى) ؟ »

مط شفته السفلى بمعنى أن كل إنسـان معرض للخطأ .. ونظرت للوراء حيث كان (رفعت إسـماعيل) يتعثر محـاولاً اللحاق بهما .. طبعًا هذا مستحيل ..

لسبب ما لم يمنـع رجـال الشرطة الصحفيين من دخول صالون الحلاقة .. بالداخل كان هناك زحام من رجال المختبر الجنـائى ، صور تلتقط وجثـة مثنيـة للخلف .. وكـان دخـان التبغ ثابتًا متصلبًا فى الهواء ، فسعل المصور عدة مرات ، وقال فى ضيق :

- « لا أتحمل الدخان ! لم لا يمنعون التدخين هنا ؟ »

- « أنت لا تتحمـل الدخـان ؟ كـانت لفافـة التبـغ لا تفـارق شفتيك .. »

- « نسى المؤلف ذلك .. هذا سهو بسيط يحدث من حين لآخر .. »

- « إذن أنت صرت (ستيف) وكرهت التدخين .. لحسن الحظ أننى مازلت أدعى (ويلما) .. هييه ! د . (رفعات) .. »

شق الطريق إلى الداخل وسط الزحام .. كان مرتبكًا ومن الواضح تمامًا أنه يكره ثانى أكسيد الكربون ، وينفر من أى تجمع بشرى ..

هذه المرة استطاعت ان تظفر بقائد الشرطة الزنجـى ذى المعطف الخاكى ، فأمرت (ستيف / مايك / جيرى) بأن يبدأ التصوير ، ووضعت مكبر الصوت قرب فمه :

- « سيدى .. السلسلة مستمرة .. ومن الواضح أننا نتعامل مع قاتل تتابعى Serial Killer ، فهل لك أن تخبرنا بالرابط بين هؤلاء المقتولين ؟ »

نظر لها فى حدة ثم نظر إلى العدسة وقال :

- « أفهم ما تريدين قوله .. ربما يتخصص فى قتل الشقر أو قتل الرجال البدينين أو البيض .. ربما يتخصص فى القتل يوم الثلاثاء أو يتخصص فى قتل أصحاب المطاعم .. فى الغالب حين نمسك به يقول لنا إن الرب أمره بقتل السباكين مثلاً .. لكن لا .. لا يوجد أى رابط حتى اللحظة بين هؤلاء المقتولين .. منهم الأبيض والأسود .. منهم النحيل والبدين .. منهم البائع الجوال والحلاق .. منهم من مات يوم السبت ومنهم من مات يوم الخميس .. لا يوجد رابط .. »

نظرت حولها ثم رأت ما كانت تبحث عنه هناك جوار المرآة .. فهتفت فى انتصار :

- « شرائط فيديو فى صالون حلاقة ؟؟ ألا يبدو هذا غريبًا ؟ »

قال فى ضيق :

- « ليس إلى هذا الحد .. هناك حلاقون يعرضون أفلام فيديو على زبائنهم .. »

- « ألم تلحظ أن شرائط الفيديو هى القاسم المشترك بين كل الضحايا ؟ »

- « إن الفيديو اختراع شائع نوعًا .. ولن أندهش لوجود صنبور ماء أو ثلاجة لدى كل من ماتوا .. »

ثم انسحب دون أن يودعها أو يشكرها أو أى شىء .. كان من الواضح أنه يعيش أسود أيام حياته ، وربما آخر أيام منصبه .. على كل حال لا مشكلة .. سيجدون زنجيًا آخر ضخم الجثة يعرق بغزارة ويلبس معطفًا خاكيًا ، ويعينونه مديرًا للشرطة .. دنا منها (رفعت) الذى غمر العرق عويناته وقال :

- « هذا الرجل سمج كالـ (تابير) سيئ الخلق كالـ (وولفرين) .. »

- « هل الـ (تابير) سمج إلى هذا الحد ؟ »

- « لا أعرف .. لكنه يبدو سمجًا فى الصور .. »

لم تكن تعرف ما هو (التابير) لكنها تلك التشبيهات التى يهواها المؤلف ، ويستخدم فيها أسماء حيوانات عجيبة لكنها حقيقية .. بالمناسبة كان فى حديقة حيوان الجيزة (تابير) لا بأس به لكنه مات منذ أعوام !

- « هل شرائط الفيديو تحمل علامة (شانجرى لا) هذه ؟ »

اتجهت وسط الزحام إلى المرآة وألقت نظرة ـ ثم نظرت له وهزت رأسها أن نعم .. ورفعت إصبعها بمعنى أن هناك واحدًا .. لكنها خشيت ان تمد يدها للشريط فتسمع ما لا تحب ..

وقف (رفعت) يتأمل وجهه فى المرآة أمامه .. وبدا هذا غريبًا للناس .. لم يَبْدُ مسرورًا بما رأى ومعه حق طبعًا .. تذكرت (عبير) كيف أن الطاغية (تيمورلنك) رأى وجهه فى المرآة مرة فهاله مدى قبحه وراح يعول ويبكى ، هنا فوجئ بـ (جحا) يبكى معه .. سأله عن السبب فقال (جحا) : أنت رأيت وجهك مرة واحدة فبكيت .. فماذا عنى أنا الذى أراك كل يوم ؟!!

اقتربت من (رفعت) الذى كان يحاول أن يشذب شاربه باستعمال مشط صغير ، وقالت باسمة :

- « لو أن أحد رجال الشرطة رآك ، لأبلغك برأيه فى جمالك .. »

لم يبتسم وقال وهو يواصل ما بدأه :

- « لا أعرف إن كان الأمر يعنى لك شيئًا .. لكن هذه

المرآة من الطراز المعتم من جهة والشفاف من جهة أخرى ! »

نظرت له فى المرآة فى حيرة .. وقالت :

- « ماذا تعنى ؟ »

- « يوجد جزء غير مفضض عند الركن الأيمن السفلى .. ومن خلاله أعرف أن هناك تجويفًا ـ ربما غرفة ـ على الناحية الأخرى .. هذا أسلوب معروف للتجسس .. من يقف هنا ير مرآة ، ومن يقف على الناحية الأخرى ير نافذة شفافة .. »

من جديد قالت فى حيرة :

- « وما الهدف ؟ لماذا يريد الحلاق أن يراقب زبائنه ؟ »

- « لا أعرف .. لكنى شغوف بمعرفة ما يوجد على الجانب الآخر .. »

فكرت حينًا ثم قالت :

- « سنخبر الشرطة .. لا أعرف حلاً آخر .. »

ثم لحقت برجال الشرطة وتبادلت بعض الهمسات مع أحدهم ، ثم نظرت للوراء وهتفت :

- « (ستيف) !! صور كل شىء ! »

بدوره هتف رجل الشرطة :

- « تعالوا هنا وساعدونى يا شباب .. »

جاءت المطارق من مكان ما ، وكذلك استعان البعض بالهراوات .. وسرعان ما انقض الجميع على المرآة يوسعونها تحطيمًا .. تدخلت النزعات السادية لتزيد من حماستهم وقد تخيل كل منهم أنه يهشم رأس زوجته ..

اتسعت الثغرة ، وكان ما وراءها مظلمًا .... فهرعوا يسلطون الكشافات على الداخل ..

هنا دوت صرخة رعب مريعة ..

★ ★ ★

6- الغول ..

كانت هذه أعظم ليلة فى عمر (عبير) .. ليس لجمال ما وجدوه ، بل لأهميته .. وكان (ستيف / مايك / جيرى) يصور هذا كله ..

لو كانت هذه القصة بقلم كاتب آخر ، لوصف ببساطة ما يحدث .. أما مع كاتبنا فإنه يبدأ بالقول : كنت أود أن أصف لكن هناك آنسات ها هنا ..

هذا موقف راق لا بأس به .. لكن المشكلة الحقيقية أنه يصف كل شىء بعد هذا !! يصفه بطريقة تلميحات خبيثة على غرار (بعض السادة المعلقين بالداخل لم تكن رائحتهم طيبة جدًا) أو (هذا الذى على الأرض ليس عصير طماطم) أو (قطع اللحم المتناثرة لا تدل على رقى كبير) ..

كان الحلاق سفاحًا .. والأهم من هذا أنه كان آكل لحوم بشر كما هو واضح .. لا غرابة فى هذا .. إن أمريكا تعج بهم ، وأى بحث فى شبكة الإنترنت يخبرك على الفور أن (هانيبال لكتر Hannibal Lecter) ليس وليد خيال المؤلف (توماس هاريس Tomas Harris) تمامًا ..

كانت هناك سبع جثث معلقة من خطاطيف ، ويبدو أن تلك الغرفة كانت هى (قاعة الهوايات) بالنسبة للحلاق .. بالإضافة إلى أنه كان يراقب زبائن المحل من خلال المرآة الزائفة ، ربما لاكتشاف وجبات جديدة .. لابد أنه كان يفعل هذا حين يتولى أحد مساعديه الحلاقة فى المحل ، لأنه من الصعب أن يقف خلف المرآة وأمامها فى الوقت ذاته لو أردت رأيى ..

صرخات كثيرة .. إغماءات أكثر .. الكثير من القىء .. إلخ .. إنها عادة يصعب التخلى عنها ..

وقال رجل الشرطة وهو يتفحص إحدى الجثث بعد إنزالها من على الخطاف :

- « (لويجى فرناندل) .. مهاجر أسبانى .. أذكره جيدًا لأنه فى قوائم المفقودين لدينا .. أعتقد أن كل هؤلاء ضمن القوائم .. »

هتف آخر فى حماسة :

- « هذا هو ما ندعوه (العدالة الشعرية) .. لقد مات سفاح بيد آخر ! »

ودنت (عبير) من (رفعت) لتقول له فى حماسة :

- « أنت نجم السهرة .. ربما مر الأمر دون أن يلاحظه أحد .. لقد كانت غرفة الهوايات هذه مخبأة جيدًا ، ويبدو أنه كان يدخلها من خلال المرآة ذاتها بعد انتهاء ساعات العمل .. »

فى ملل قال وهو يتأمل نفسه فى مرآة أخرى :

- « سئمت الحلاقين الذين يذبحون الزبائن ويأكلونهم .. لقد صرت أغلق بابى كى لا يدخل أحدهم .. لو فتحت الصنبور لنزل عشرة منهم .. »

- « أعرف أنك ملول .. لكنى لم أتصور قط أن حالتك بهذه الخطورة ! »

قال لها وهو يدس يده فى جيبه :

- « بالمناسبة .. الشريط معى .. كان من الممكن وسط هذه الضوضاء أن أدس حاملة طائرات فى جيبى .. »

لكنها كانت تعرف ...

لقد رأى القتيل شيئًا ما على الشريط .. لكن ما هو ؟ الاحتمال الأكبر هو أنها ستجد الشريط نظيفًا بريئًا حين تراه .. كما حدث فى شقتها منذ ساعات .. هذه الشرائط لا يراها إلا صاحب الشأن ..

كانت قد فرغت من هذا المكان ، و(ستيف) المصور يلتهم لفافة تبغ فى جشع .. فقد تذكر المؤلف من جديد أنه مدخن شره .. فقالت له :

ـ « سأنصرف الآن يا (ستيف) .. سآخذ الدكتور (إسماعيل) معى .. »

نظر للعجوز فى غيظ وقال :

ـ « هذا النصب التذكارى الأصلع ؟ إن لك ذوقًا غريبًا فى فرسان الأحلام ، ولو كنت مكانك لذهبت لأقرب طبيب نفسى .. إن مرض (الجيرونتفيليا) قابل للعلـ ... »

ـ « أنت تغار يا صديقى .. ولكن بلا داع .. الرجل مصدر .. لا أكثر ولا أقل .. »

ـ « لو كان مصدرًا فهو مصدر للإزعاج .. للدرن .. للحمى الراجعة .. »

* * *

تقول الأغنية :

ـ « أريد أن أصحو فى المدينة التى لا تنام .. (نيويورك) .. »

وحقًا (نيويورك) لا تنام ..

إنهما يجلسان فى ذلك المقهى الصغير فى حى (بارك أفينيو) الراقى ، حيث تدوى الأغنية .. هناك زبائن معدودون ، وثمة جو ناعس جميل .. إنها تحب الجلوس مع هذا الشيخ العصبى .. تحب الجلوس ولا تحبه هو .. ثمة فارق طفيف فى المعنى لكنه يغير الأمور بشدة ..

جاء النادل بإفطار مبكر جدًا فجلسا يأكلان فى صمت ..

بعد دقائق سألته :

ـ « هل من استنتاجات بصدد هذا كله ؟ »

كان فمه مليئًا بالبيض ، لذا انتظر قليلاً حتى ازدرده ، ثم قال :

ـ « بالطبع لا .. لدينا عدة نقاط غامضة :

1 ـ أين (كولبى) وماذا كان يعرفه مما شكل كل هذا الخطر ؟

2 ـ كل القتلى ـ فيما يبدو ـ كانت لديهم شرائط فيديو من (شانجرى لا) هذا ..

3 ـ هذه الشرائط غير طبيعية ..

4 ـ القتيل الأخير كان قاتلاً تتابعيًا .. بل آكل لحم بشر لو شئنا الدقة .. »

ثم فكر قليلاً وأضاف :

ـ « ثمة نقطة أخرى مهمة .. (أنا أبصق على قبرك) فيلم سينمائى شهير من أفلام (الجياللو Giallo) التى يطلقون عليها (قاذورات الفيديو Video nasties) ، بسبب كل ما فيها من عنف سافر لا يتورع عن شىء .. أعتقد أن (كولبى) كان يتكلم عن فيلم فيديو لا عن ملهى فى (بروكلين) .. »

هتفت فى مرح مصفقة بيديها :

ـ « برافو .. هذا حق .. لقد كان (جوش كيندرلى) يشاهد هذا الفيلم حين مات .. »

هنا شعرت (عبير) بمن يدق على كتفها فنظرت إلى الوراء .. فوجئت بالمرشد يقف هناك وهو يضغط على القلم الزنبركى ، وحيا (رفعت إسماعيل) بهزة رأس فيها من الوقاحة أكثر مما فيها من التأدب ، ثم قال لها :

ـ « حان الوقت ! لقد انتهت القصة ! »

هتفت فى رعب :

ـ « انتهت ! هى لم تبدأ بعد !! »

مد يده يلتقط قطعة من الكرواسان من طبقها ، وقضم منها ، ثم قال ببرود كعادته :

ـ « لقد سئم المؤلف القصة ويريد إنهاءها حالاً .. إنه يفعل ذلك أحيانًا .. »

ـ « لكن المشكلة ما زالت قائمة .. »

ـ « ربما يلجأ إلى حيلة الحلم .. تفيقين لتكتشفى أن هذا كله حلم .. ربما يترك النهاية مفتوحة لخيالك .. أى شىء .. المهم أن القصة انتهت .. »

قال (رفعت) فى تفلسف :

ـ « يسمون هذا (الإله من الآلة) أو الـ Contriving .. هذا عيب درامى شهير .. »

ـ « عيب أو ليس عيبًا ليست مشكلتى .. لا ذنب لى إذا كنت اخترت قصة لمؤلف نافد الصبر سريع الملل كهذا .. هلمى يا فتاة .. »

فى عصبية طوحت ما بقى فى قدح القهوة فى وجهه وهتفت :

ـ « أنت والمؤلف ! أنا لا أخدع بسهولة ! سأبقى ولو كان هذا آخر شىء أفعله .. »

راح يجفف السائل الساخن عن وجهه على حين قال له (رفعت) فى حزم :

ـ « ارحل أنت .. لن تستطيع إرغامنا على شىء .. نحن باقيان هنا حتى يتضح الأمر .. »

قال المرشد وهو يقضم ما بقى من الكرواسان على مرة واحدة :

- « أكره أن ألقى التهديدات .. لكنى غير مسئول عن أى خطر تتعرضين له .. أنت رفضت الرحيل حين قمت أنا بواجبى .. »

ثم هزّ رأسه فى ضيق وابتعد ، على حين استدارت (عبير) إلى (رفعت) وقالت فى إعجاب :

- « أنت تجيد معالجة أمورك .. مازلت لا أفهم كيف لم تتزوج حتى الآن .. »

قال وهو يقضم بعض الكعك :

- « هذا يذكرنى بنكتة الأحمق الذى وثب من الطائرة بالمظلة .. نسى أن يجذب الحبل ليفتح المظلة ، حتى صار على ارتفاع ستة أمتار من الأرض .. هنا تذكر .. لكنه قال لنفسه : إن خمسة أمتار ليست معضلة .. يمكننى أن أثبها ! هكذا أنا .. ترددت كثيرًا جدًا حتى سن الخمسين .. ثم وجدت أنه لا مشكلة فى قضاء الأعوام الباقية لى وحيدًا .. »

أضافت باسمة :

- « سأضيف شيئًا .. ربما لم تتزوج لأنك تجيد معالجة الأمور .. والمرء يتزوج إذا لم يجد شيئًا آخر يفعله .. »

قال بطريقة من لا يرغب فى مزيد من الكلام حول هذه النقطة :

- « ربما .. والآن ماذا نفعل فى هذه القضية ؟ إن رغبة عارمة تحدونى إلى أن أنسى الأمر برمته وأعود لوطنى .. هذا يبدو محببًا .. لكن لدى التزامًا نحو الأحمق (كولبى) .. إنه إنسان برغم كل شىء .. ثانيًا أريد أن أبقى لمجرد استفزاز هذا المرشد .. »

- « إذن ماذا نفعل ؟! »

نظر لها فى غموض وابتسم وقال :

- « هل تعرفين أين يقع مطعم ذلك المدعو (مايكل ستورداليان) ؟ »

★ ★ ★

لم تعرف (عبير) أنها نامت كالجثة فى شقتها ، ولم تعرف الساعة إلا حين دق جرس الهاتف الذى يقول (دززززز) لا (ترررررن) .. رفعت السماعة كالمنومة مشوشة التفكير .. وتساءلت :

- « من ؟! »

جاءها صوت (رفعت) :

ـ « استيقظى وأشرقى كما تقولون .. إنها الرابعة عصرًا .. لقد عاد كل منا لداره فى الخامسة صباحًا ، وأؤكد لك أنها خبرة مروعة .. إن بلادكم تنعم بأمن غير عادى ، فقط لو تخلصتم من تلك العصابات من البلطجية ، وسائقى التاكسى المجانين ، وعصابات الزنوج المزودة بالهراوات ، وعصابات الكاريبى التى تحمل المدى ، ومدمنى المخدرات فى الأزقة .. »

حكت شعرها كالقرود ، وقالت :

ـ « من أين تتكلم ؟ »

ـ « من فندقى طبعًا .. كنت أريد أن أعرف مكان نادى الفيديو المدعو (شانجرى لا) هذا .. »

قالت فى ضيق وهى تترجل من الفراش :

ـ « لا أعتقد أنه يفتح أبوابه فى هذا الوقت المبكر .. »

ـ « إذن يجب هذه الليلة بالذات أن أزوره .. وأن نقوم بعدها بالبحث فى مطعم المدعو (مايكل ستوردليان) .. »

ـ « نبحث عن ماذا ؟ »

ـ « لا أدرى .. سنعرف عم نبحث حين نجده ! »

وهكذا اتفقا على اللقاء فى العاشرة مساء عند نادى الفيديو ..

ولم يكن لديها ما تعمله الآن إلا إعداد وجبة خفيفة ومشاهدة التلفزيون ، حيث ما زال التقرير الذى قدمته أمس يعرض فى كل نشرة ..

وفى العاشرة مساء اجتاز الاثنان مدخل نادى الفيديو الكئيب ..

الحقيقة أن المكان اكتسب أهمية خاصة بعد كل ما رأياه وعرفاه عنه .. فلو كانا يجتازان مدخل معبد وثنى لما تصرفا بهذا التوجس والخوف .. ولكن (رفعت) قال هامسًا وهو ينظر إلى الملصقات :

ـ « شيطانيون Satanics .. هذا واضح .. »

قالت فى لا مبالاة :

ـ « أوه .. دعك من هذا .. إن هذه موضة لا أكثر .. إن الشباب يحب الغرابة .. لو حكمت على المجتمع الأمريكى بطلاء الشفاه الأسود ، لاستنتجت أننا مجتمع من الـ ... »

ثم صمتت لأن الفتاة المخيفة إياها ظهرت لهما ..

نظرت لـ (رفعت) نظرة شك ذات معنى .. ثم عادت ابتسامتها المخيفة التى تكشف عن أسنانها المصبوغة ، وقالت فى مرح :

ـ « عدت يا حبيبتى .. هل أحببت الفيلم ؟ »

ـ « جدًا .. »

قالتها (عبير) ثم أشارت إلى (رفعت) وقالت بكياسة :

ـ « جلبت لكم عميلاً آخر محترمًا يهوى أفلام العنف القذر .. إنه يريد عنفًا لا هوادة فيه .. الكثير من الرعب المعوى والأشلاء الممزقة .. »

نظرت له الفتاة من جديد وغمغمت بشىء من السخرية :

ـ « هذا واضح .. إنه شرس قوى كالفهد .. أراهن أنك فخور به .. »

قال (رفعت) كلمة واحدة :

ـ « (أنا أبصق على قبرك) ! »

ـ « أوه .. نحن لانعتبر هذا فيلم عنف بالضبط .. إنه من كلاسيكيات السينما الراقية .. لكن السيد ذو ذوق لابأس به .. »

وبعد ثوان كان الشريط فى الكيس المعتاد فى يد (رفعت) ..

قالت له (عبير) وهى تستوقف أول سيارة أجرة :

ـ « الآن نذهب إلى دارى لنراه .. أم هو لا يعمل إلا حين تكون وحيدًا ؟ »

ـ « لماذا تسألينني ؟ لست أنا من وضع كل هذه الخطة .. »

بعد عشر دقائق كانا فى شقتها الأنيقة ، فاتجهت لتدس الشريط فى الفيديو .. الوحش الجائع يزدرد وجبته اليومية ثم يخرجها على شكل صور على الشاشة ..

بعد دقائق قالت له :

ـ « ما رأيك ؟ »

ـ « مثل رأيك .. تذكرى الطفل الذى يرفض الغناء أمام الضيوف .. هذا فيلم (أنا أبصق على قبرك) بأحداثه الرقيقة الشاعرية ، كما رأيته آسفًا من قبل .. لا أكثر ولا أقل .. »

نهضت فى إحباط واتجهت إلى المطبخ لتعد له بعض العصير ، هنا سمعته يصرخ كالمجنون :

ـ « تعالى .. تعالى !! »

هرعت إلى الخارج فوجدته يجلس على الأرض أمام الشاشة وهو يتواثب غير مصدق ..

كان المشهد على الشاشة يظهرهما معًا .. لكن الغريب أنهما يقومان بعمل لم يقوما به قط .. كانا يتسللان إلى مطبخ كبير يقف فيه مجموعة من الرجال بثياب الطهاة .. يتسللان من وراء الرجال .. ويفتحان بابًا ..

خلف الباب غرفة ضيقة بها أروع مجموعة من المهملات فى العالم .. لكن (رفعت) يمد يده وسط الفوضى إلى أن يجد خزانة مغلقة .. يعالج بابها حتى ينفتح ، ويلقى نظرة بالداخل .. ثم يقول لها :

ـ « أعتقد أن علينا أن نرحل .. لقد عرفنا ما يجب أن نعرفه .. »

هكذا فقط .. ثم بدأت مشاهد فيلم (أنا أبصق على قبرك) التى رآها (رفعت) من قبل ..

تبادل النظرات معها .. وساد صمت ثقيل .. وشعرت (عبير) بالشعر ينتصب على ساعديها بينما انتصبت شعرة واحدة باقية فى رأس (رفعت) .. إن الرعب فى هذه القصص ـ كما نعرف ـ عبارة عن إعادة إحياء للعضلة

الناصبة للشعر التى ضمرت عندنا وإن ظلت تمارس عملها ببراعة لدى أى قط يحترم نفسه ..

بعد قليل قالت بصوت كالفحيح :

ـ « هذه الشرائط لا ترينا فقط ما حدث لنا بل ما سيحدث .. أعتقد أن هذا هو المطعم الذى سنراه بعد ساعة من الآن .. »

قال وهو يحك صلعته حيث جلس على الأرض :

ـ « لا أعتقد .. لا أحد يستطيع التنبؤ بالمستقبل .. حدث لى مرة واحدة أن قابلت شخصًا مماثلاً لكنه كان آتيًا من الغد .. لا أعتقد أن هذه هى القصة هنا .. إن هذا الفيلم ببساطة يشرح لنا ما يجب عمله .. إنه فيلم تعليمى .. »

ثم قال باستمتاع :

ـ « هل رأيت كم كنت رائعًا ؟ إن تلك البذلة الكحلية لا تكف عن جعلى فاتنًا .. وكنت أتحرك بثقة وأتقدمك كأننى (جيمس بوند) نفسه فى ملصقات أفلامه .. »

قالت فى غيظ :

ـ « هذا فقط ما لفت نظرك فى هذه الظاهرة العجيبة ؟ »

- « رأيت ما هو أغرب .. لكنى أعرف شيئًا واحدًا : هناك من يحاول مساعدتنا .. هذه رسالة بليغة جدًّا لكننا لا نملك الذكاء الكافى لفهمها بالكامل .. »

ثم نهض من على الأرض ونفض ثيابه وقال :

- « والآن .. أين هذا المطعم ؟ »

★ ★ ★

7ـ هل هو نذير ؟

كان المطعم صاخبًا .. ومن الواضح أن إدارة جديدة اشترته وقامت ببعض التجديدات .. أضف لهذا أن موت صاحبه السائق ميتة بشعة لشىء يثير شهية هؤلاء القوم الباحثين عن أية تسلية ..

قال لها (رفعت) وهو يتفحص قائمة الطعام :

- « اطلبى أى شىء .. أنا لا أفهم هذه الأسماء .. »

جاء النادل فطلبت منه طبقين من شىء لا يعرف أحد كنهه ، وبعد دقائق بدأت الشاشة الكبرى المعلقة تعرض مباراة كرة قدم أمريكية من الطراز الذى لا يلمس أحدهم فيها الكرة بقدمه .. (مباراة قرب منتصف الليل ؟؟!!) .. وهكذا راح الجميع ينظر لأعلى فى بلاهة ..

- « هذا هو الوقت المناسب .. »

- « ولو سألنا واحد عن وجهتنا ؟ »

- « سنقول إننا نبحث عن الحمام .. لا توجد مشكلة .. »

نعم هناك مشكلة لأن الحمام على بعد أربع خطوات منهما ..

وهناك لافتة لا يمكن ألاّ تراها ما لم تكن أعمى .. ثم إنه ليس من الطبيعى أن يبحث الرجل ومرافقته عن الحمام فى الآن ذاته .. من الطبيعى أن يذهب كل منهما منفردًا ، ما لم يكن الرجل طفلاً فى السادسة بلل سرواله والمرأة هى أمه ..

قالت له فى ضيق :

- « يبدو هذا موقفًا عسيرًا .. »

قال لها وهو ينهض :

- « سنستخدم الأسلوب الشهير .. نحن نريد التسلل إلى المطبخ بينما هذا ببساطة مستحيل حسب المنطق .. هنا تظهر قاعدة (دعنى أنخدع - دعنى أخدعك) .. سنذهب برغم كل شىء ، ولسوف يقنع القارئ نفسه أن هذا حدث .. فى أحد أفلام (هتشكوك) الشهيرة كانت عصابة التهريب تطارد البطل مطاردة محمومة .. وفى النهاية وجد نفسه فى المخزن الذى تخزن فيه العصابة ما تهربه .. كانت هناك علب طعام محفوظ .. هنا تساءل (هتشكوك) : ما هو المبرر الذى يفسر كل هذه المطاردة المحمومة ؟ حتى المخدرات لا تبرر هذا كله .. إذن فلتحتو العلب على

(يورانيوم) ! وصاح الكثيرون : هذا مستحيل .. اليورانيوم لا يهرب بهذه الطريقة .. ثم إن العالم لا يحوى من اليورانيوم هذه الكمية .. لكن (هتشكوك) صمم على تطبيق القاعدة ! هيا بنا ! »

وهكذا نهض الاثنان متجهين إلى المطبخ .. أحيانًا كان نادل يسألهما إن كانا يريدان شيئًا فيقول له (رفعت) : حمام ! بنفس اللهجة التى يقول بها الراكب المتسلل إلى الحافلة (مصلحة) كلما جاءه المحصل ..

كان المطبخ يعج بالطاهين .. هذا مطعم يملك إمكانات طيبة إذن ..

كان الجميع يتابع المباراة على شاشة جهازين معلقين .. وبدا أنه لو احترق المطعم فلن يهتم أحد ..

هكذا اتجه (رفعت) فى شىء من الثقة إلى المخزن الخلفى .. المخزن الذى رأياه فى فيلم الفيديو ..

مد يده وفتح المقبض .. ثم انسابا إلى الداخل .. هنا تذكرا أنهما لم يحملا ضوءًا ، لكن المخزن كان مضاءً من أعلى بمصباح واهن .. توجد مجموعة رائعة من المخلفات والقمامة .. وهناك فى النهاية خزانة غاصت وسط المخلفات إلى نصفها .. لكن بابها غير موصد ..

شق (رفعت) طريقه وسط المخلفات إلى أن استطاع أن يفتح باب الخزانة ..

ألقى نظرة مدققة ثم مد يده وأخرجها ..

وفى الضوء الواهن استطاعت (عبير) أن ترى حقيبة أنثوية فى يده .. حذاءين أحدهما يخص أنثى والآخر يخص رجلاً .. حقائب أنثوية .. ربطة عنق رجل ..

أخرج (رفعت) بعض محتويات الحقيبة الأنثوية ودسها فى جيبه ..

ثم نظر لها وهزَّ رأسه ..

قالت له بصوت كالفحيح :

- « ألن تقول : أعتقد أن علينا أن نرحل .. لقد عرفنا ما يجب أن نعرفه ؟ »

- « نعم لن أقولها .. لا أريد أن أثبت فكرة النبوءة فى ذهنك .. »

ثم أشار لها كى يعودا ..

وعلى منضدة الطعام جلسا يفكران بينما النادل يجلب لهما الطعام العجيب ..

عبث (رفعت) فى جيبه وأخرج بطاقة شخصية .. وراح يتأملها من تحت مستوى المنضدة ، ثم قال لها :

- « هنا هوية شخصية لفتاة تدعى (تلما كليفلاند) .. وهنا بطاقتها الائتمانية .. ما معنى هذا ؟ »

- « لا أعرف .. إن الفتيات يفقدن حقائبهن أحيانًا .. »

- « ويفقدن حياتهن أحيانًا أخرى .. »

ثم راح يعبث فى جيبه من جديد ، ودس فى يدها من تحت المنضدة شيئًا أسطوانيًّا باردًا .. وقال :

- « ما هذا ؟ »

اختلست نظرة ثم قالت :

- « أنبوب غاز مسيل للدموع .. هذا من لوازم الفتاة للدفاع عن النفس فى (نيويورك) .. وإن كان لم يفد صاحبته على ما أظن .. »

استرد الأنبوب وأعاده إلى جيبه ، فسألته :

- « أعتقد أننى أجدر به منك .. »

قال باسمًا :

- « بل المؤلف طلب منى أن أحتفظ به .. هذا هو ما يسميه المؤلفون بـ (الغرس) أو (الإرهاص) أو (الاستنباط) .. يجب أن يعرف القارئ أن هذا الشىء معى .. وبهذا يقبل حقيقة أن أستعمله بعد عدة فصول .. فى (أسطورة الغرباء) عرفنا مبكرًا أن الدكتور (رايتمان) لا يدخن .. هذا هو الغرس .. قرب نهاية القصة أشعل لفافة تبغ .. هذا يمهد القارئ لقبول حقيقة أن الرجل لم يعد هو .. »

وواصلا الأكل فى شرود .. بينما كل المطعم يتابع المباراة مع إطلاق الصرخات والصياح ..

وحين جاء النادل سأله (رفعت) وهو يتناول الفاتورة :

- « أين (جوش كيندرلى) صاحب المطعم ؟ »

صححت له (عبير) المعلومة :

- « (مايكل ستوردليان) .. »

- « معذرة .. أنا لم أنس الاسم .. المؤلف هو الذى نسيه .. »

ابتسم النادل وحرك إصبعه حركة أفقية أمام حلقه وقال :

- « أين كنت يا سيدى ؟ فى (تمبكتو) ؟ لقد ظل التلفزيون

يعرض صورة جثة (ستوردليان) أسبوعًا كاملاً .. ودعنى أؤكد لك أن هذا كان يوم سعد لنا .. اشترينا المطعم من الورثة ، وانهال الزبائن علينا .. لم يخلق بعد المواطن الأمريكى الذى يقاوم تناول العشاء فى مطعم قتل صاحبه منذ أسبوع .. »

رسم (رفعت) على وجهه علامات الصدمة والرعب وقال :

- « يا للهول ! هل حدث هذا هنا أم فى داره ؟ »

- « لقد كان يقيم هنا إقامة دائمة .. بل إنه كان تقريبًا يدير كل شىء وحده .. لقد كان هذا المطعم مملكته الخاصة لو كنت تفهم ما أعنيه .. »

ونظر (رفعت) إلى الفاتورة فانتصبت الشعرة الوحيدة فى رأسه .. هذا هو الرعب الحقيقى فعلاً ..

- « هل أجد معك (فكة) لورقة بمائة ألف دولار ؟ »

★ ★ ★

كان (رفعت) متعكر المزاج بسبب فاتورة المطعم ، لهذا اختل تركيزه إلى حد كبير ..

أما (عبير) ـ التى لم تخسر مليمًا ـ فإنها كانت رائقة المزاج ، وقد راحت تفكر بصوت عال بينما هما يعودان على الأقدام إلى شقتها :

ـ « هل تعتقد أن الشريط قد تبدل الآن ؟ أم أننا سنرى نفس الأحداث ؟ »

ـ « م م م .. حساء و... م م م .. »

ـ « (رفعت) !! أنا أكلمك !! »

نظر لها فى دهشة كمن انتزع من بحر عميق ، ثم قال :

ـ « نعم .. نعم .. أعتقد أن علينا أن نرى الفيلم .. »

وهكذا جلسا فى شقتها وضغطت على زر التحكم عن بعد .. لكنهما لم يريا ما كان فى المرة السابقة .. بالفعل بدلاً من رؤية عملية التسلل للمطعم ، رأيا مشهدًا غريبًا بعض الشىء ..

كانت هناك جثة مقطوعة الرأس تزحف على الأرض وهى ترتجف كالديدان .. هذا المشهد الشنيع الذى يعرفه كل من قتل (بورص)(*) وجده فى الشرفة ليلاً ..

(*) اسمه بالفصحى (وزغة) ، لكن أحدًا لن يفهم أننى أتحدث عن (بورص) !!

أطلقت (عبير) شهقة استبشاع ، وهى تغطى فمها بيدها .. بينما قطب (رفعت) جبينه وضغط على عضلاته الماضغة ..

وهتفت وهى تشيح بوجهها :

ـ « هذه لقطة من الفيلم .. أنت قلت إنه يحوى مشاهد عنف سافرة .. »

قال وهو يأخذ منها جهاز التحكم عن بعد :

ـ « ليس هذا المشهد فى الفيلم الذى أعرفه .. لو دققت النظر لوجدت أن الجثة ترتدى بذلة .. بذلة كحلية اللون لابد أنها كانت تجعلها فاتنة !! »

★ ★ ★

8ـ الصورة أكثر وضوحًا ..

ـ « فقط (مارجريتا) تأخذنى إلى (شانجرى لا) .. »

★ ★ ★

إنهم .. إنهم يمقتون السبانخ .. ولكن ما دخلى أنا بهذا كله ؟

★ ★ ★

وقفت تنتظر حتى يفرغ من مكالمته الدولية إياها .. ومر رجل يرتدى السواد جوارها فأجفلت .. كانت تتوقع المرشد فى أية لحظة .. الخوف كل الخوف أن يظهر المرشد ليستردها قبل أن تعرف سر هذه القصة .. هذا وارد للأسف هنا وهو احتمال مريع ..

كان (رفعت) يكلم الطرف الآخر بالإنجليزية قائلاً :

ـ « ماذا ؟ »

ـ « .... »

ـ « وحتى تحترق النجوم كلها .. وحتى ... »

هنا انقطع الخط فيما يبدو لأنه ظل يهتف فى عصبية :

ـ « هالو ! هالو ! »

ثم وضع السماعة ولحق بها ، وقد بدا الغيظ على وجهه ..

قال لها وهو يتقدمها :

ـ « معذرة .. كنت أكلم شخصًا مهمًا بالنسبة لى .. »

ـ « (ماجى ماكيلوب) .. لا تعتقد أننى لا أعرف كل شىء عنك .. ولكن ما المناسبة ؟ »

قال فى جدية :

ـ « أنا أعرف أن ما رأيناه لم يكن نبوءة لكنه تحذير .. هناك من يرغب بشدة فى قطع رأسى .. ومن البديهى أن أفكر فيمن أحب فى لحظة كهذه .. »

ثم أردف وهو يوقف سيارة أجرة مجنونة :

ـ « سنذهب إلى الشرطة .. طبعًا هم يعرفونك وسوف يخضعون لنفوذك .. »

ـ « لا تعتمد على هذا .. إنهم يكرهوننى كالجحيم .. أنا

(برسونا نان جراتا) أو شخص غير مرغوب فيه بالنسبة لهم .. ولكن ماذا ستقول لهم ؟ هل ستخبرهم أنك خائف من قطع رأسك ؟ »

نظر لهما السائق الباكستانى متسائلاً ، فأخبرته (عبير) بوجهتهما ، ثم عادت تواصل الكلام مع (رفعت) ..

قال لها :

ـ « كنت أحسبك أذكى من هذا .. سنخبرهم أن عليهم أن يفتشوا بعناية بيوت من قتلهم السفاح .. (كيندرلى) و(باكستر) وسواهما .. »

ـ « هذا جميل .. ولكن لماذا ؟ »

ـ « أكره أن أكون على صواب دومًا فهذا يبدو مملاً .. لكن من الواضح أننا نعرف الآن مجال تخصص هذا القاتل التتابعى .. »

★ ★ ★

ـ « ربما يتخصص فى قتل الشقر أو قتل الرجال البدينين أو البيض .. ربما يتخصص فى القتل يوم الثلاثاء أو يتخصص فى قتل أصحاب المطاعم .. فى الغالب حين نمسك به يقول

لنا إن الرب أمره بقتل السباكين مثلاً .. لكن لا .. لا يوجد أى رابط حتى اللحظة بين هؤلاء المقتولين .. منهم الأبيض والأسود .. منهم النحيل والبدين .. منهم البائع الجوال والحلاق .. منهم من مات يوم السبت ومنهم من مات يوم الخميس .. لا يوجد رابط .. »

★ ★ ★

قالت له فى دهشة :

ـ « لا أحد وجد رابطًا .. »

ـ « بل هناك رابط .. الحلاق كان يقتل الناس ويأكلهم .. لماذا نجد كل هذه الأشياء فى مطعم (ستورداليان) ؟ لماذا تتخلى فتاة عن حذائها وحقيبتها وبطاقة ائتمانها ؟ لماذا يترك رجل حذاءه فى مطعم ؟ الأمر سهل .. لأن كل هؤلاء قد ماتوا .. »

ـ « ومعنى هذا ؟ »

ـ « معناه أننا نعرف نشاط هذا القاتل التتابعى .. هذا أول قاتل تتابعى فى التاريخ يتخصص فى قتل التتابعيين !! »

★ ★ ★

بدأ (رفعت) يعد على أصابعه النحيلة كعادته حين يرتب أفكاره :

أولاً .. لا جدال فى أن من ماتوا كانوا قتلة ..

قالت (عبير) محتجة :

ـ « لحظة .. إن بضعة أنسام لا تكفى لتحديد اتجاه الريح .. المؤلف يقول هذا .. »

قال فى غيظ :

ـ « لا أعتقد أنه ينطق بالحكم الأبدية .. فلنفترض أنه يخطئ أحيانًا .. (برنارد شو Bernard Shaw) من ناحيته يقول : لا يجب أن آكل البيضة كلها كى أعرف أنها فاسدة .. ثانيًا نحن لا نتحدث عن الأنسام يا حمقاء بل عن الجثث .. إن العثور على آثار موتى لدى اثنين من قتلانا يسمح لنا بتعميم القاعدة .. »

ثانيًا .. يمكننا بنوع من الاطمئنان أن نتوقع أن هؤلاء أفلتوا من العدالة .. ما دام لم يقبض على أحدهم .. أعتقد أنهم لم يتمتعوا بالاستعراضية مثل السفاح الأخير ، ومعظم ضحاياهم اعتبروا مفقودين ...

ثالثًا .. هناك شخص ما يمارس دور (العدالة السوداء) أو (فارس الليل) يقوم هو بتطبيق القانون على هؤلاء ..

رابعًا .. كنت لأفترض هذا لولا تلك اللمسة فوق الواقعية .. موضوع الشرائط هذا ..

قالت معترضة :

ـ « كل هذا العدد من القتلة التتابعيين ؟ »

ـ « لا غرابة فى هذا .. شاهدى أى فيلم أمريكى يخيل لك أن المجتمع هنا مجموعة من القتلة التتابعيين .. إن من ليس قاتلاً تتابعيًّا هو ضحية محتملة .. »

راحت تضحك طويلاً فنظر لها فى دهشة ، وصعد الدم إلى رأسه :

ـ « هل جاء دور الهستيريا الأنثوية المحببة ؟ »

ـ « لا .. أحب فقط أن أتخيل وجه رجال الشرطة وأنت تخبرهم بهذا التصور .. »

فكر قليلاً وبدا أن فكرتها لمست وترًا مهمًّا عنده .. ليست فتاة سخيفة إلى هذا الحد ...

فى النهاية قال لسائق التاكسى :

ـ « توقف .. سننزل هنا .. »

دون إنذار وكأنها طائرة تنقض من السماء عوت الفرامل ، ومالت السيارة إلى اليمين لتقذفهما معًا ليرتطما بالباب من الداخل .. وعلى حين نقد (رفعت) الرجل ماله ، كانت (عبير) تحاول أن تعرف أين ذهب ذراعاها ، وأين رأسها بالضبط ..

ـ « هل عدلت عن الذهاب إلى الشرطة ؟ »

ـ « هذا واضح .. سنجرى مكالمة من مجهول .. »

ـ « هل تعرف أنهم يتلقون 3636993 مكالمة من مجهول يوميًا ؟ »

ـ « ليس فيما يتعلق بهذه القضية .. وليس حين أذكر لهم اسم (تلما كليفلاند) .. »

وهكذا اتجه إلى هاتف عمومى من هواتف العملة .. أمسك بسماعة الهاتف وراح يدلى بمعلوماته ..

هنا حدث شيئان .. أولاً دوت سرينة سيارات الدورية وهى تنقض كالنسور على هذا القطاع بالذات .. ثانيًا راح هاتف (عبير) الخلوى يدق ..

وضع (رفعت) السماعة وقال لها وهما يبتعدان :

ـ « فلنسرع .. إن الفكرة جيدة لدرجة أنهم تتبعوا المكالمة

بهذه السرعة .. سوف تجدين شرطة (نيويورك) هنا خلال دقيقتين .. »

ورفعت هى الهاتف الخلوى وأصغت قليلاً ثم قالت بصوت أرادت أن يسمعه (رفعت) :

ـ « ماذا تقول ؟ الشرطة تحاصر مطعم (ستوردليان) ؟ تريد أن أتجه إلى هناك فورًا لتصوير ما يجرى ؟ ليكن .. »

أغلقت الجهاز ونظرت باسمة لـ (رفعت) ..

على الأقل ستكون الليلة صاخبة ، ولسوف يصل رجال الشرطة إلى ما عرفه (رفعت) فى نفس الليلة .. على الأقل يملك رجال الشرطة بعض القوة مما يطمئنك بدلاً من التعامل مع هذا العجوز المحتضر ..

قال لها (رفعت) :

ـ « هل ستغطين الحدث ؟ »

ـ « طبعًا .. العمل هو العمل .. »

ـ « أريد مبرد أظفارك .. »

ـ « ولمه ؟ »

– « الفرس .. الإرهاص .. سيكون مهمًا فيما بعد .. كذلك أريد مفتاح شقتك .. »

مدت يدها لحقيبتها وسألته وهى تخرج المفتاح :

– « فهمت موضوع المبرد .. ولكن هل لى أن أعرف السبب فى أخذ مفتاحى ؟ »

– « لأننى سأمر الآن على متجر فيديو (شانجرى لا) وأجد فيلمًا جديدًا .. يجب أن أتلقى الرسائل الجديدة .. لا يوجد لدى جهاز فيديو فى الفندق .. »

– « ولماذا تريد رسائل جديدة ؟ »

– « يجب أن نفعل هذا قبل أن نتسلل إلى متجر الفيديو .. »

فى ضيق قالت وهى تغلق حقيبتها وتشير لسيارة أجرة :

– « وهل يجب أن نتسلل إلى متجر الفيديو ؟ »

ببساطة قال :

– « طبعًا .. ماذا يوجد خلف الستار الأحمر ؟ لا بد من أن يجازف البطل فى غباء ويدخل .. هذا هو (المشهد الإجبارى) كما يقول السينمائيون .. ولو لم يأت لشعر القراء / المشاهدون بإحباط لا حد له .. »

– « تعنى (الذروة Climax) ؟ »

– « لا .. (المشهد الإجبارى) يختلف عن (الذروة) .. لكن أفضل القصص طرًا هى ما يتطابق فيها المشهدان .. للأسف ليس هذا هو الحال هنا .. »

– « ولماذا ؟ »

– « لأن هذه القصة لن تكون جيدة إلى هذا الحد !

وقبل أن تعلق كان قد توارى فى الزحام ، ووجدت أن عليها أن تفتح باب سيارة الأجرة ، لأن السائق الباكستانى – كالعادة – ينظر لها متسائلاً ...

★ ★ ★

بسرعة تعيد تصفيف شعرها وهى تنظر فى المرآة الصغيرة التى يحملها المصور (تومى) .. (تومى) هو آخر اسم له على ما يبدو .. وهو – كما وصفناه من قبل – ضخم الجثة أصلع الرأس ..

سألته وهى تتناول مكبر الصوت :

– « كيف أبدو ؟ »

– « تبدين كمجاعة فى الهند أو إعصار فى (بورنيو) .. باختصار : مصيبة .. »

- « شكرًا .. هذا لطيف منك .. »

وشقت طريقها وسط الزحام ، بينما المفتش الزنجي العملاق ذو المعطف الخاكي يخرج من الزحام ، فقربت منه المكبر وسألته عما هنالك ..

- « لا شيء سوى مخابرة هاتفية من مجهول .. يبدو من لهجته أنه ليس أمريكيًّا .. ربما هو عربي .. أدلى بمعلومات مهمة ويبدو أن الحلقة تضيق .. »

- « تضيق حول القتيل ؟!!!! »

نظر لها نظرة من التي تقتل دون رصاص .. ثم في صبر قال :

- « من المفيد أن نعرف جديدًا عمن ماتوا .. هذا يساعدنا على تحديد الدافع أكثر .. »

وراح يعرض على الكاميرا مجموعة من الأوراق التي وجدوها هنا ..

الخلاصة أن المقابلة كانت سيئة تمامًا .. وكانت تتوقع هذا على كل حال ، لأنها تعرف ما هو أكثر بكثير .. وقد فرغت من عملها بعد نصف الساعة ، وكانت النتيجة التي

وصلت إليها الشرطة تتحرك في اتجاه خاطئ تمامًا .. يحتاجون إلى عدة أيام قبل أن يلاحظوا أن كل من ماتوا كانوا قتلة .. بل كانوا سفاحين تتابعيين ..

وحتى لو وصلوا لهذا فما هي النتيجة ؟ لا شيء ..

هكذا استوقفت سيارة أجرة وطلبت من السائق - الباكستاني غالبًا - أن يتوجه إلى دارها .. وفي المقعد الخلفي راحت تفكر بعمق ..

هنا تذكرت شيئًا بالغ الأهمية ..

هناك شيء لم يعرفه (رفعت) وهو بالغ الأهمية .. إن الحل صار قريبًا جدًّا ..

* * *

9- لا يمكنك أن تكون حذرًا بما يكفى ..

- « هل استحممت بعطر وتنشفت بنور ؟ »

(أرجو أن يعطينا المؤلف فيما بعد تفسيرًا لهذه العبارات التى لا دخل لها فى سياق القصة ..)

* * *

راحت تقرع باب شقتها مرارًا دون جدوى ..

ما معنى هذا ؟ إنه غير موجود .. فهل جاء ونزل أم أنه لم يأت من البداية ؟ هل أصابته نوبة قلبية فى أثناء مجيئه هنا ؟ فى هذه الحالة يكون قد اختار أسوأ وقت ممكن للموت .. سخفاء هم الذين يموتون ومعهم مفاتيح شقق الآخرين ..

هكذا نزلت بالمصعد إلى حارسة العقار ، ولحسن الحظ أن هذه تملك مفتاحًا لكل شقق البناية .. وهكذا تمكنت من الدخول ..

كما توقعت كانت الشقة خالية تمامًا ..

جهاز الفيديو مفتوح لكن الشريط بداخله بلغ نهايته ، وقد انطفأت شاشة التلفزيون تلقائيًا بعد قليل ..

اتجهت إلى الجهاز وأعادت الشريط لبدايته ، ثم جلست تشاهد ما يحدث ..

كان الفيلم يدعىَ (الموتى الأشرار) وهو من الأفلام الشنيعة التى تصنف بدورها ضمن قاذورات الفيديو .. وقد شاهدت منه ربع ساعة حين بدأت ترى أحداثًا غريبة بعض الشىء ..

كانت تركض فى الشارع .. تركض وتنظر للوراء ، وقد بدا عليها هلع غير عادى .. ثم هى تجد بابًا مفتوحًا فتدخله .. ينتقل المشهد إلى الداخل لترى (كولبى) يقف هناك ، وهو يلهث وقد شاخ فجأة عشرة أعوام أخرى .. كانت ثيابه ممزقة والدم ينزف من شفتيه ..

هتفت فى لهفة :

- « (كولبى) .. حمدًا لله على أننى وجدتك .. ما هذا ؟ وماذا يريد ؟ »

قال منهكًا :

- « لو كانت لدى أجوبة كل الأسئلة ؛ لجلست أتأمل مع الرهبان البوذيين فوق إحدى قمم (الهيملايا) .. »

فجأة سمعت صوت القطرات .. بليك .. بليك .. بليك !

نظرت له فى هلع فأدركت أن وجهه يذوب وأنه يتحول إلى واحد آخر .. واحد يقبع وجهه تحت هذا القناع الذى كان أقرب إلى قناع شمعى .. وراحت تصرخ .. تصرخ ..

لكن الفيلم لم يمهلها حتى ترى الوجه الآخر - ولم تتمن هذا قط - لأن لقطات (الموتى الأشرار) عادت إلى الشاشة ، وقد بدت لها الآن بهيجة باعثة على الرضا والحبور ..

ما معنى هذا ؟

مادامت هذه ليست نبوءة فهى تحذير .. تحذير من ماذا ؟ على الأرجح من (كولبى) - لو كان حيًا - هو ليس كما يبدو .. لكن هل هذا سيحدث أم هو حادث فعلاً ؟؟

نحن نلعب بقواعد قذرة هنا ، أو - بمعنى أدق - بلا قواعد .. وقد عرفت ما حدث لـ (كولبى) ، وكيف خدعته هى حين لم تكن هى ؟ فماذا عنها إذن ؟

هنا سمعت من يسعل فى الحمام ..

لقد كانت على حق ..

★ ★ ★

« فقط (مارجريتا) تأخذنى إلى (شانجرى لا) .. »

★ ★ ★

الآن يمكننا أن نتساءل عن مصير العجوز (رفعت) ..

لقد اتجه إلى شقة (عبير) وفتح الباب ، ثم جلس أمام التلفزيون يتابع عرض شريط الفيديو الرهيب ، الذى صار أحد مراجع أفلام (الرعب المعوى) ..

هنا رأى المشهد يتبدل .. وكان هذا ما ينتظره ، فدنا من الشاشة أكثر حتى كاد يدخلها ..

كان المشهد يمثل شقة سكنية فاخرة .. تبدأ اللقطة من

الحمام .. إنها لقطة وجهة نظر أو P.O.V كما يقول السينمائيون حيث تحل أنت محل البطل فلا تراه .. الكاميرا تخرج من الحمام وتتقدم ببطء خارجة ماشية فى ردهة طويلة ..

كما قلت أنت لا ترى الممثل لكنك تسمع صوته .. تسمع صوت لهاثه .. شىء ما فى هذا الصوت يجعلك تتمنى ألا ترى وجهه أبدًا ..

إنه يتقدم أكثر ..

هذه قاعة جلوس .. بها جهاز تلفزيون ..

هناك رجل نحيل أصلع يجلس على الأرض ، وظهره للكاميرا يتابع فى اهتمام ما يدور على الشاشة ..

الرجل يرفع رأسه وينظر للوراء فى رعب ويصرخ ..

فجأة يهوى عليه شىء ما لا تتبينه من سرعة اللقطة ، وسرعان ما يتدحرج الرأس الأصلع على الأرض والنظرة البلهاء على ملامحه ..

كان (رفعت) يشاهد هذه اللقطات فى توتر .. عندما فطن للحقيقة ..

- « هناك رجل نحيل أصلع يجلس على الأرض .. »

هذا هو بالذات !

هكذا يبدو فى هذه اللحظة بالذات لمن يأتيه من الحمام !!

نظر للوراء بسرعة فرأى الظل الواقف فى الحمام والذى يتأهب للخروج ..

لم ينتظر أكثر .. وثب من مكانه .. هرع إلى الباب ..

لم ينظر إلى الوراء على الإطلاق ..

فقط فتح باب الشقة ووثب إلى خارجها ..

المفتاح .. أين هو ؟

أولج المفتاح فى الباب وأغلقه بإحكام .. ثم مد يده الراجفة إلى جيبه وبحث عن قرص النيتروجلسرين .. الألم يتزايد .. هيا يا قلبى أيها الأحمق لا تضعف الآن .. لم تتوقف من قبل فلا تتوقف الآن ..

دوار .. الصداع المحبب كناية عن أن القرص بدأ يسرى فى دمه ..

آلام صدره تزول ..

يبحث عن زر المصعد وهو يشهق طلبًا للهواء ..

★ ★ ★

فى سيارة الأجرة بدأت أفكاره تصفو قليلاً ..

كان قد حاول الاتصال بالمذيعة (ويلما) عدة مرات على هاتفها الخلوى ، فلم ترد .. من الواضح أنه مغلق لأنها كانت مشغولة فى التصوير .. يجب أن يخبرها بألا تدخل بيتها الآن .. لكن كيف ؟

الآن خطر له أنها لن تستطيع الدخول على كل حال ما دام المفتاح معه ..

إن ذلك الشىء حبيس الشقة الآن .. ولكن متى كانت هذه الأشياء تحبس فى الشقق ؟ لا بد أنه تحرر ..

الآن فقط يمكنه أن يتأكد من شىء واحد .. أفلام الفيديو هذه تحاول إنقاذه .. إن رسائلها فى الأغلب إرشادية أو تحذيرية ..

لقد حان وقت المشهد الإجبارى .. وقته الآن .. مكانه هنا ..

لن ينتظر حتى يقابل الفتاة .. سيذهب إلى (شانجرى لا) ويعرف كل شىء ..

وأمام نادى الفيديو ترجل واتجه بخطى ثابتة ..

لو كان هذا المكان خيرًا فهو أغرب مكان خير فى العالم ..

يجتاز المدخل .. من الغريب أن هذا النادى لا يزدحم أبدًا .. لم ير رجلاً يبحث فى عناوين الأفلام سواه ..

الفتاة الشيطانية إياها تخرج من الداخل وهى تدخن لفافة تبغ غريبة الشكل خبيثة الرائحة .. يبدو أنها كانت (تعلى مزاجها) أو Getting high .. طبعًا .. هذه ثلاثية (المخدرات ـ الجنس ـ الروك أند رول) الشبيهة بمقعد ثلاثى لا يمكن أن يقف لو انتزعنا أحد قوائمه .. المقعد الذى وصفوه بأنه الطريق إلى الجحيم ..

قالت له بطريقتها الناعمة المداهنة :

ـ « هذا هو الرجل الصلب .. هل أحببت الفيلم ؟ »

قال فى تؤدة :

- « لم أره بعد .. لكنى جئت لأطلب واحدًا آخر .. لابد من فيلمين هذه الليلة بالذات .. »

ثم بطريقة عارضة :

- « سيارة الدورية بالخارج .. يقولون إنهم ينتظرون شخصًا دخل هنا .. هل لديك فكرة عن الموضوع ؟ »

بدا الاهتمام على وجهها الثلجى .. ومطت عنقها محاولة أن ترى ثم قالت :

- « شرطة ؟ هذا غريب .. لحظة .. »

وكما توقع خرجت من وراء الكاونتر وتقدمت على كعبين كرأسى دبوس نحو المدخل الذى صار مخرجًا الآن ..

كان (رفعت) بحاجة إلى أقل من دقيقة .. يزيح الستار الأحمر الغامض .. يلقى نظرة .. يعود لمكانه قبل أن تعود ..

هكذا اندفع إلى ما وراء الكاونتر وأزاح الستار ..

لكن ما رآه جعله عاجزًا عن التراجع ...

★ ★ ★

قال لها (رفعت) وهو يخرج من الحمام ويجفف وجهه :

- « من حقى البشرى أن أدخل الحمام .. هذا واجب فسيولوجى نؤديه نحو أنفسنا ولا أرى ما يستأهل كل هذا اللوم ! »

قالت (عبير) فى عصبية وهى تسترخى على الأريكة :

- « لقد أفزعت الجحيم من داخلى (هكذا يقولونها حرفيًا) .. حسبتك واحدًا آخر .. لكن تعال هنا .. لابد أنك أصم تمامًا .. لقد أوسعت الباب طرقًا .. »

- « ولابد أن يدك أرق مما تبدو عليه .. »

ضغطت على زر جهاز التحكم عن بعد ، وقالت فى ملل :

- « حين تقترض مفتاحًا من أحدهم ، فمن أبسط الأشياء أن ترهف السمع للباب .. ثمة أخبار جديدة على هذا الشريط .. (كولبى) ليس كما يبدو .. ربما مات وهناك من يستخدم ملامحه .. »

ـ « من قال هذا الهراء ؟ »

ـ « هذا .. »

وأرجعت الشريط بضع لقطات للوراء ، ثم بدأت المشاهد المألوفة من فيلم (الموت الشرير) .. قالت له :

ـ « ثمة شيء آخر نسيت أن أخبرك به .. إنه يغير كل شيء في هذه القصة .. هل تعرف أن ... »

ثم توقفت عن الكلام ..

فالمشهد على الشاشة كان يظهر فتاة تشبهها تشاهد التلفزيون .. أمامها رجل عجوز أصلع .. الفتاة على الشاشة تراقب التلفزيون باهتمام .. بينما الرجل العجوز يتحور .. بالضبط يتحور كما يحدث (المسخ) على شاشة الكمبيوتر .. الآن لم يعد آدميًا على الإطلاق وإن ظل يلبس البذلة الكحلية ..

إنه ينهض نحو الفتاة .. يفتح مخالبه نحوها .. ثم ...

نظرت للوراء فوجدت وجه (رفعت) يذوب ببطء .. (رفعت) الحقيقي الجالس جوارها في هذه اللحظة بالذات .. كلا .. ليس هذا جزءًا من ظاهرة (شوهد من قبل Déjà vu) .. بل هذا يحدث فعلاً ..

هذا التلفزيون يعمل الآن كمرآة .. لكنها مرآة تسبق الواقع بثوان ..

★ ★ ★

10ـ خلف الستار الأحمر ..

« فقط (مارجريتا) تأخذنى إلى (شانجرى لا) .. »

★ ★ ★

وقبل أن تدرك أنها نهضت نهضت .. وقبل أن تدرك أنها ركضت إلى الباب ركضت إليه .. وقبل أن تعرف أنها تثب الدرجات خمسًا خمسًا فلا وقت للمصعد ، راحت تثب الدرجات ..

أخيرًا وقفت فى الشارع المظلم تعب الهواء فى جشع وتتساءل ..

ماذا كان مصير (رفعت) ؟

والسؤال الأخطر : منذ متى لم يعد هذا (رفعت) ؟ هل كان الذى أخذ مفتاح شقتها (رفعت) أم لا ؟

على الأرجح كان المسخ ينتظره فى الشقة وانفرد به وحده ..

هذا يعنى أنها ببساطة وحيدة تمامًا ..

وهكذا قررت أن تستقل سيارة أجرة يقودها باكستانى ، وتتجه إلى نادى الفيديو (شانجرى لا) ..

هذا هو الاتجاه الوحيد الذى تعرفه ..

إن الإجابات كلها هناك ، لكن هل يمنحونها إياها ؟

لن يكون هذا سهلاً طبعًا .. لكنها ستجرب ..

★ ★ ★

وعند باب النادى كان ذلك الرجل المسربل بالسواد والذى يتسلى بالضغط على قلم صغير فى يده ..

قال لها دون أن ينظر لها :

ـ « أعتقد أن الوقت قد حان للرحيل .. »

ـ « لا يا مرشد .. »

قالتها بحزم ، فعاد يلح عليها :

ـ « لا بأس بهذه النهاية للقصة .. إنها مما يروق للمؤلف بشكل خاص .. التفسير النهائى متروك للقارئ .. وهذا .. أوف ف ف ف ف ! »

كانت هذه ركلة قوية تلقاها فى قصبة ساقه وهى من (مواضع الزناد) التى يمكن أن تقتل .. ولم تنتظر لتعرف ما دهاه ، بل شقت طريقها إلى الردهة الطويلة ..

كانت الفتاة واقفة حيث هى تعبث بأصابعها المخضبة بلون أسود فى شعرها ، وتراقب أغنية (راب) قميئة على شاشة التلفزيون .. وحين رأت (عبير) ابتسمت ابتسامة ذات معنى ، وقالت بنعومة :

- « فيلم آخر يا حبيبتى ؟ »

قالت (عبير) فى حزم :

- « اسمعى أيتها الأفعى .. فلنكف عن المزاح لحظة .. ماذا يوجد فى هذه الغرفة خلف الستار ؟ »

نظرت الفتاة للستار كأنما تراه لأول مرة ، وقالت :

- « هذا مخصص للعاملين فقط .. »

- « حسن .. أنت تريدين أن تدخلى .. أليس كذلك ؟ »

ساد الصمت قليلاً ثم قالت الفتاة بصوت بارد خشن لا أثر فيه للميوعة السابقة :

- « ستدخلين .. لكن بكامل إرادتك الحرة .. أريد التأكد من هذه النقطة .. »

- « لا شك فى هذا .. »

أشارت الفتاة إلى ما وراء الستار فى صمت ..

(عبير) لا تذكر طبعًا أن كليشيه (بكامل إرادتك الحرة) يوشك أن يكون مقصورًا على مصاصى الدماء .. أو - على أقل تقدير - يرمز لشىء مخيف ..

لكنها كانت تتوقع الأسوأ .. لهذا تقدمت نحو الستار الأحمر وأزاحته ...

* * *

يا للعوالم الجهنمية التى لا يمكن وصفها !

فقط يقدر (بودلير Baudelaire) الشاعر الفرنسى الرجيم أن يصف هذا المشهد ، طبعًا بعد ما يأخذ جرعة هائلة من الأفيون ..

لم يكن للمكان أبعاد .. كان ممتدًا إلى لا مكان .. هناك كانت نيران خضراء ترقص ، وكانت المسوخ تتواثب من أسقف لا وجود لها .. وهناك كانت العذارى يصرخن ، بينما من بحار لا تعرف كيف وجدت ، ترتفع أكف مخلبية امتلأت بالبثور ..

هناك كان الألم شخصًا له طول وعرض وارتفاع .. له وجود مريع يجثم فوق روحك ..

هناك كانت فراشات تحلق هاربة من اللهب ، لكن ألسنة النيران تلحق بها وتحرقها .. تنفجر .. فتسيل دمًا يتجمع فى بحار أخرى ..

هناك كان (المينوتور) يصرخ، و(ميدوسا) تبرز للبحارة الصارخين فيستحيلون تماثيل .. هناك كانت ساحرة تعبث بأوراق (التاروت tarot) بيد واحدة، بينما مصاصو الدماء يصطرعون مع المذءوبين ..

وسط هذا كله كانت المنضدة .. وكان العجوز (رفعت إسماعيل) .. كان ينظر لها وقد بدا عليه رعب سرمدى ..

سمعت صوته آتيًا من مكان ما لا يمكن أن تتبينه :

- « أنت جئت يا حمقاء ! »

شقت طريقها وسط الجروح النازفة، والمخالب التى تخرج من الأرض محاولة أن تنتزع قلبك ..

شقت طريقها متعثرة حتى بلغت المنضدة، ووجدت مقعدًا فجلست ..

- « أين نحن ؟ »

قال بصوت مبحوح :

- « فى قلب عالم الرعب ذاته .. هذا المتجر يحرس إحدى ثغرات (جانب النجوم) .. »

جانب النجوم !! المكان الذى تأتى منه الشرور والمسوخ ومصاصو الدماء .. إنها أسطورة رومانية قائمة بالفعل ولم يخترعها المؤلف، لكنه استعملها مرارًا فى (ما وراء الطبيعة) حتى صار جانب النجوم هذا مكانًا جغرافيًّا كأنه كوبرى 6 أكتوبر أو شارع (صلاح سالم)، فلم يبق إلا أن تقف سيارات (ميكروباص) يقف على بابها صبية ينادون : جانب نجوم .. واحد ! جانب نجوم .. واحد !

همست بينما الأشباح تعبث بشعرها محاولة انتزاعه :

- « وأين (كولبى) ؟ »

أشار إلى أعلى، وقبل أن تصرخ فى فزع هتف :

- « إنه حى .. لكنه لن يظل كذلك طويلاً .. »

كان (كولبى) معلقًا من حبل مربوط إلى ساقيه .. والمخيف هنا أن الحبل لم يكن يتمسك بشىء .. كان يسبح وحده فى الفضاء السرمدى للغرفة .. ذكرها المنظر بصورة (المشنوق من ساقيه) فى أوراق التاروت ..

- « ماذا يحدث هنا ؟ »

قال وهو يبلل شفته السفلى بلعابه :

- « لنقل إنه خلاف فى الرأى .. لكنه خطر بعض الشىء .. إنه يفسد للود ألف قضية .. »

الآن يتضح النور أكثر ، وينزاح الظل .. كان الجالس على المنضدة من الجهة الأخرى يلبس مسوحًا واسعة من الطراز الذى يغطى الوجه فلا تعرف من تحدث .. لكن بضع لمحات كانت تجعلك تدرك أنه ليس كائنًا بشريًا على الإطلاق وإن بدا كذلك ..

ـ « أى مسخ هذا ؟ »

قال (رفعت) وهو يضغط يدها تحت المنضدة :

ـ « صمتًا .. فهم شديدو الحساسية هنا .. »

هنا بدأ الشىء يتكلم .. يتكلم بإنجليزية قديمة يمكن تفسيرها بصعوبة :

ـ « أنت تلقيت إنذارك أيها الفانى .. مرارًا تلقيت .. مرارًا أنذرت .. هنا لا تأت أبدًا .. لكنك برغم هذا أتيت .. ربما لأننا أنذرناك .. وديدن الفانين أن يهرعوا إلى ما حذروا منه كما يهرع مصاص الدماء إلى وريد فى عنق حسناء .. »

ثم ساد صمت ثقيل يوحى بأن أحدهم ينتظر لحظة ما ..

شعرت (عبير) بالحيرة .. لو كان هؤلاء القوم أشرارًا فلماذا يقتلون السفاحين ؟ ولماذا أنذروهم بالنهاية أكثر من

مرة ؟ بل وعلموهم كيف يعرفون سر المطعم .. ومن الذى فى شقتها الآن ؟ ولماذا اقتادوا (كولبى) إلى هنا ؟

قال لها (رفعت) همسًا :

ـ « القصة هى البساطة ذاتها .. لقد جاء أحد سادة النجوم إلى عالمنا فى شكل رجل وديع مهذب .. لا أعرف مهمته بالضبط ، لكنه جاء متمتعًا بكل براءة المسوخ .. طبعًا وجد فى (نيويورك) مسوخًا أكثر فظاعة .. لقد سقط فى يد الحلاق الذى قتله ومزقه إربًا .. طبعًا لم يمت .. لقد خرج من المخزن ممزق الأوصال يحمل رأسه على يده .. وقرر أن ينتقم من كل السفاحين الذين فروا من العقاب .. »

ـ « هذا يعنى أنه صار فى صف الخير وإن كان هذا لأسباب مختلفة .. وبالطبع كان اسمه البشرى (جالاجر) .. »

ـ « كيف عرفت ؟ »

ـ « (كولبى) تحدث عن (جالاجر) .. ثم تذكرت أن اسم (جالاجر) ضمن الأسماء التى وجدها رجال الشرطة فى المطعم .. أى أن (جالاجر) كان ضحية السفاح .. والآن أكمل .. »

قال وهو يضم سترته كى لا يتشمم مصاصو الدماء الجوالون عنقه من حين لآخر :

ـ « كل السفاحين تقودهم خطاهم إلى مقر نادى الفيديو هذا لأنهم يبتاعون منه أفلام العنف التى تروق لهم .. أكثرها أفلام ممنوعة لا تجدينها فى أى مكان آخر .. ومن لم يعرف اسم النادى كان يتلقى إعلانًا بريديًا يعده بالكثير .. أما ما لا يعرفه أحد فهو أن نادى الفيديو يقع فعلاً فوق إحدى فتحات جانب النجوم القديمة جدًا .. لعل هذا هو السبب فى الطابع الشيطانى المميز للمكان .. وسرعان ما استحوذ (جالاجر) على المكان وجعله مقر قيادته .. وكان كل قاتل يزوره يجد على الشريط الذى يستعيره مشهد مصرعه .. الفكرة هنا أن الذعر الذى يسببه هذا يفوق الوصف ، وكان يسعد قلب (جالاجر) ـ لو كان له قلب ـ إلى أقصى حد .. بعد هذا كان يفتك بالقاتل ـ الضحية بطريقة عنيفة جدًا ...

ـ « هنا ظهر أحمق اسمه (كولبى) بدأ يعرف شيئًا عن القصة .. ظهرت مراسلة (حشرية) وعجوز أحمق .. (كولبى) يعرف أكثر من اللازم لهذا وقع فى الشرك .. قرر سادة النجوم أن يكتفوا بهذا .. لكن (جالاجر) قد جن تمامًا ..

وهو مصمم على قتلك وقتلى برغم أننا لم نؤذه .. وقد تحدى سادة النجوم أنفسهم الذين طلبوا منه أنه ظفر بانتقامه كاملاً .. إنه يجول فى المدينة .. لا أعرف كيف يبدو الأمر لكنه أشلاء ممزقة تحاول أن تتماسك .. وهكذا تلقينا تحذيرات على شرائط الفيديو من سادة النجوم كى نفر وننجو بحياتنا .. لكن حماقتنا قادتنا إلى هنا كالمستجير من الرمضاء بالنار .. »

بدأت القصة تتضح .. لكن ...

ـ « وماذا نفعل الآن ؟ »

ـ « ثمة حقيقة واحدة .. نحن لن نرى الشمس ثانية .. لن نعرف هذا كله ثم يطلقوا سراحنا .. »

ـ « وفى الخارج يفتش عنا الأخ (جالاجر) .. »

هنا دوى هدير رهيب ..

نظر الجميع إلى القادم .. هذا الشىء لا يحتاج إلى بطاقة تعريف كى تعرف أنه (جالاجر) .. يصعب أن أصفه لك لأنه عبارة عن أشلاء تتحرك .. وعلى كل حال ليس مؤلف

هذه القصص مولعًا بوصف المسوخ .. إنه يترك كل واحد يفكر فى مسخه الخاص .. تخيل أسوأ شىء رأيته فى كوابيسك .. حسن .. إنه قريب من هذا ..

كان يزحف على الأرض بطريقة مذهلة .. ويعرف دومًا كيف يحافظ على رأسه كى لا يسقط ..

فقط نظر إلى (عبير) و(رفعت) بعينين حمراوين تنزفان دمًا ، وقال بصوت متحشرج :

ـ « هذان لى !! »

هنا تكلم الشىء الجالس على المنضدة .. قال بصوته العميق الغريب :

ـ « هذان لن تقتل أى (نيموس) .. القانون هو القانون .. أنت طلبت الانتقام وقد نلته ، وانتقامك لا يشمل هذين .. هذان عرفا الكثير ، ولو لم يأتيا هنا لما نالهما سوء .. لكنك لن تقتلهما .. سادة النجوم سيحددون المصير .. »

قال وهو يزحف نحو (عبير) :

ـ « هبهما لى أى (جلاديوس الجيلى) .. بموتهما أنعم .. إنهما من الفانين .. »

ـ « هذان لن تقتل .. »

لكنه كان مصرًا .. يزحف فى إصرار نحو الفتاة التى بدأت تسمع الشعر (يطقطق) فى رأسها .. إنها تشيب الآن حتمًا .. وقدرت أنه سينقض عليهما غير مبال بأوامر سيده ..

هنا حدث شيئان ...

لقد أخرج (رفعت) من جيبه شيئًا أسطوانيًّا .. و...

فوووووووووووش ش ش !!

انطلق الغاز مسيل الدموع فى عينى (جالاجر) أو(نيموس) فأطلق صرخة شنيعة .. وأدار (رفعت) الفوهة ليطلق السائل فى وجه (جلاديوس الجيلى) .. ثم بعثر النفثات فى كل اتجاه كالمجنون ..

فى اللحظة ذاتها تقريبًا ، هوى (كولبى) من السقف

غير المرئى ليرتطم بـالأرض .. وتصـاعدت أبخـرة الكبريت من كل صوب .. بينما ارتجفت الدماء التى تحيط بالجدران ، وتقلصت الوجوه المتدلية من أعلى فى صرخة ألم ..

صاح (رفعت) فى (عبير) :

ـ «الباب بسرعة !! »

ولكن أين الباب فى هذا العالم الذى بلا قواعد ؟

صاح (كولبى) وهو يتقدمهما :

ـ « أنا أراه ! أراه ! »

وهكذا ركض الجميع وراء (كولبى) الذى راح يشـق طريقه وهو يتعثر ..

الستار الأحمـر .. الستار الأحمـــر .. صـوت عويـل وصراخ ..

وبعد لحظة كانوا فى الخارج ..

قالت الفتاة الشيطانية شيئًا لكن (رفعت) أفرغ مـا تبقـى فى الأنبوب فى وجهها .. فانثنت على نفسـها جوار الجدار تسعل وتجاهد من أجل التنفس ..

وسـرعان مـا وجـدوا أنفسـهم فـى شـوارع (نيويـورك) المظلمة .. وبعد دقيقة كانوا يستقلون سيارة أجرة يقودها باكستانى إلى منزل (كولبى) ..

هتفت (عبير) وهى تلتقط أنفاسها :

ـ « فهمت الآن قيمة الغرس أو الإرهاص .. لقد ظل الأنبـوب معك يا (رفعت) حتى اللحظة المناسبة .. لكـن مـن قـال إن الغـاز المسيل للدمـوع يؤثـر فى مسوخ جانب النجوم ؟ هـذا الأخ (جالاجر) قد تم تمزيقه بالكامل من قبل لكنـه مـازال حيًا .. فهل يؤثر بعض الغاز فى عينيه ؟ »

قال (رفعت) فى وقار :

ـ « المفترض أن يؤثر .. المؤلف أراد له أن يؤثر .. »

ـ « وكيف جربت هـذا الجـرى كلـه ، وأنت مريض قلب معروف ؟ »

ـ « المؤلـف أراد لى أن أجـرى .. فى العربيـة العاميـة يقـول الشباب (سنفرى دمـاغك) .. لا أعـرف كيـف أنقلهـا إلـى الإنجليزية .. إن تعبير never mind لا يفى بالغرض .. تذكـرى (دعنى أنخدع ـ دعنى أخدعك) .. »

- « لكن القاعدة بهذا الشكل توشك أن تكون (دعنى أستغفلك) .. (دعنى أجعل منك أحمق) .. (دعنى أهن ذكاءك) .. »

- « لا تأخذى الأمور على محمل شخصى .. »

ثم استدارت إلى (كولبى) بدوره :

- « لكن كيف تحررت يا (كولبى) ؟ »

- « استعملت مبرد الأظفار الذى أخذته منك .. كانت هذه نقطة غرس موفقة بدورها .. وقد أريكهم سقوطى .. »

نظرت إلى (رفعت) فى غيظ ، وقالت :

- « لكنك أنت من أخذ مبرد الأظفار وليس (كولبى) .. »

تثاءب فى ملل وقال :

- « حقًا ؟ إذن اختلط الأمر على المؤلف .. لا يهم .. كان سيكتب بضعة أسطر تبرر كيف قذفت بالمبرد إلى (كولبى) المعلق من ساقيه .. لكن لم يعد لهذا من داع الآن .. لقد تحرر (كولبى) فعلاً .. »

ثم صافح (كولبى) فى حماسة على طريقة (كفك) المصرية أو (أعطنى خمسة يا جدع) الأمريكية وقال :

- « أجمل ما فى الأمر هو أن المشهد الإجبارى كان هو نفسه مشهد الذروة .. الآن بدأت أعتقد أن القصة جيدة .. »

سألته (عبير) وهى تنظر من النافذة :

- « وهل انتهت الذروة بهذا الشكل ؟ »

- « لا .. ما زلنا فى الذروة .. يجب أن ننتصر على (جالاجر) أو ينتصر هو علينا .. هذه هى الذروة .. ولسوف يعقبها فك الخيوط denouement .. وتنتهى القصة فورًا .. أى مشهد زائد بعد هذا سيكون (ضد الذروة) أو Anticlimax .. وهو يضعف القصة جدًا .. »

شعرت بقلق .. إذن ما زال الأخ (جالاجر) غاضبًا وحرًا طليقًا .. لا بد أن غضبه صار جنونًا بعد موضوع الغاز إياه ..

★ ★ ★

كان بيت (كولبى) الجديد يتكون من طابق واحد وأمامه حديقة لا بأس بها .. فى الظلام والأضواء الخافتة بدت كأنما تدعوك للنعاس فالحلم ..

همس (رفعت) فى أذنها :

ـ « يبدو أن النصاب اليهودى قد صادف أيام سعد .. »

فتح (كولبى) الباب ، وسمح لهما بالدخول .. كان منهمكًا بحق وراح يجفف عرقه .. قال لهما :

ـ « الحق أننى لم أجد لحظة واحدة من الراحة منذ أخذتنى تلك الفتاة معها .. تخيل أن تبقى معلقًا كل هذه الفترة ، ومن حين لآخر يدس أحدهم شيئًا فى فمك فقط ليبقيك حيًا .. »

لم يكن (رفعت) يصغى له .. كان يقف خلف النافذة يراقب الحديقة ..

ـ « (رفعت) .. نحن نكلمك .. »

قال (رفعت) دون أن يبدل وقفته :

ـ « (كولبى) .. أنا لم أكن حديد البصر يومًا ، لكن لا بد من أن أكون أعمى كى لا أرى الشىء الذى يزحف بين الأعشاب متجهًا نحونا ! »

هتفت (عبير) بصوت كالفحيح :

ـ « (جالاجر) .. »

ـ « اسمه (نيموس) الآن .. وأقترح أن تنظر بنفسك يا (كولبى) .. »

نظر له (كولبى) فى حيرة ، ثم اتجه إلى الباب وخرج ..

هنا هرع (رفعت) يدير المفتاح الذى كان جوار الباب ليوصده بإحكام ..

صاحت (عبير) فى دهشة :

ـ « ماذا تفعل ؟ إنه وحده فى الخارج مع هذا الـ ... »

ـ « لا يوجد شىء فى الخارج .. وهذا ليس (كولبى) .. »

اتسعت عيناها حيرة وهتفت :

ـ « ليس (كولبى) ؟ »

- « طبعًا .. (كولبى) الذى أعرفه لا يتحمل ثلاث دقائق من دون أن يدخل الحمام .. لأنها البروستاتا كما تعلمون .. لا يمكن أن يظل معلقًا أسبوعًا أو أكثر ، ولا يمكن أن يبقى معنا كل هذا الوقت دون أن يهرع إلى الحمام .. ثم كيف حرر نفسه ما دام المبرد لم يكن معه ؟ واضح أن المؤلف لم يكن شارد الذهن إلى الحد الذى حسبناه .. لقد حرره سادة النجوم لأنهم أرادوا ذلك .. وقد هوى بالضبط فى نفس اللحظة التى أعميت فيها (نيموس) .. كيف عرف طريقه إلى الخارج بينما نحن لم نكن نرى أى شىء ؟ »

ضغطت على أصابعها وهتفت :

- « يا إله السماوات !! هذا نوع آخر من الغرس أو الإرهاص كما تسميه .. ولكن لم هذه المناورة ؟ »

- « لا أعرف .. لكنى أعرف جيدًا أن هذا واحد من سادة النجوم .. كما أعرف أن الباب موصد بعناية ولا يمكن فتـ ... »

- « صه !! »

تحرك الشىء من وراء الباب ، ونظرت (عبير) جيدًا .. هل هى تحلم أم أن المقبض يتحرك ؟

صاح (رفعت) وهو يبدل عويناته ليتمكن من أن يرى :

- « إنه يفتح الباب فعلاً .. هلمى يا حمقاء ! »

قالت وهى تتراجع إلى الوراء :

- « لكن .. لا يمكن أن .. لا يمكن أن ... »

جذبها من يدها .. إن يده برغم نحولها تؤلم ، كأنها يد هيكل عظمى .. وصاح وهو يتقدم إلى النافذة :

- « لو شئت أن تبقى هنا للأبد لممارسة هوايتك فى اللعثمة ، فهذا موضوع آخر .. أما الآن فأنا أرى أن .. »

وفتح النافذة ، ودفعها إلى الخارج دفعًا ..

إنها تثب لتسقط وسط الأعشاب الندية التى يغمرها الظلام ..

وفى هذه اللحظة سمعت الباب ينفتح بالكامل ، و(رفعت) يصرخ :

- « أنت ؟؟؟! »

راحت تركض وسط العشب .. لابد من نجدة .. لا بد من ...

فجأة اصطدمت بالمرشد .. فهتفت فى رعب :

ـ « لا تطالبنى بالرحيل .. لن أتركه وحده مع هذا الـ ... »

قال وهو يساعدها على التماسك :

ـ « لا تقلقى .. تعالى الآن لنرى هذا البائس .. »

مشى فى ثبات ومشت وراءه فى تردد .. على الأقل هو من (الإدارة) فلن يؤذيه أحد .. اتجه إلى الباب وفتحه بحزم ..

ونظرت إلى داخل الشقة متوقعة أن تجد (رفعت) ميتًا مطويًا إلى نصفين ، لكنها وجدته يقف منهكًا ممزق الثياب وعلى الأرض تناثرت أشلاء مشتعلة ينبعث منها الدخان ..

قال لها (رفعت) وهو يصلح من شأن ثيابه :

ـ « كنت محقًا .. لم يكن هذا (كولبى) .. بل كان هو (جالاجر) نفسه .. لقد حل محله فى اللحظة التى سقط فيها من أعلى .. »

تساءلت فى غباء :

ـ « وكيف مات ؟ »

ـ « لقد أصدر سادة النجوم حكمهم عليه .. إنه متمرد .. وفى الوقت ذاته هو يستحق الموت بنفس منطقه لأنه صار قاتلاً تتابعيًا ! لقد أصدروا حكمهم فى اللحظة المناسبة تمامًا قبل أن ينهى مهمته .. إن هذه الأيام مليئة بالمرح حقًا ! »

قال المرشد وهو يدس يديه فى جيبه :

ـ « أما وقد صار الجميع بخير ـ ما عدا (كولبى) الذى لا نعرف مصيره ـ فإننى أرجو وأتوسل إليك أن نرحل .. »

هتف (رفعت) بدوره كالملهوف :

ـ « نعم .. نعم .. ولا دقيقة بعد انتهاء الذروة .. حتى لا نقع فى خطأ (ضد الذروة) .. »

بالفعل حان الوقت لذلك ..

صافحت (رفعت) بحرارة وقالت :

ـ « لقد أحببت هذه القصة برغم غرابة أطوار مؤلفك ، وعاداته الغريبة التى تفسد كل شىء .. »

هزّ رأسه فى تواضع :

- « ليس بوسعنا نحن الأبطال اختيار مؤلفينا .. ولو كتبت أنا قصة بطلها المؤلف لجعلته يدفع الثمن غاليًا .. والآن وداعًا أيتها الحالمة الكبرى .. أتمنى لك مغامرة أجمل من هذه .. لقد انتهت أسطورة الـ ... »

كان الملل قد بلغ منتهاه بالمرشد فجذبها من ذراعها كأنما قبض عليها فى قضية إحراز مخدرات ..

واتجه نحو قطار (فانتازيا) الواقف فى الحديقة ..

* * *

فى القصة القادمة (عبير) فى جنوب شرق آسيا تعيش قصة حب رقيقة .. قصة حب رطبية كالندى تحت شمس أغسطس ..

ولكن هذه قصة أخرى ..

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب

فانتازيا

مغامرات ممتعة من أرض الخيال

ما أمام الطبيعة



د. أحمد خالد توفيق

إنه شىء ما .. يتحرك .. يلاحق .. تتساءل عن كنهه فلا تجد إجابة .. ربما كان فى دارك .. ربما كان على باب غرفتك .. إنه شىء ما .. لا أحد يعرف ما هو .. والخطأ الجسيم أن تفترض أن المؤلف ذاته يعرف أى شىء عنه !

القصة القادمة

حب فى أغسطس

الثمن فى مصر ٢٥٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



